وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مُحَمَّد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

القضاء بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي

(160-296 هـ /777-909 م)

مقدمة لنيل شهادة .الماستر LMD في تخصص: الغرب الإسلامي

إعدادالطالبة: فرج زليخة

إشراف الأستاذ الدكتور: مُحَمَّد حصباية

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د .عبد السلام همال	أستاذ دكتور	المسيلة	رئيسا
2	د حصباية مُحَمَّد	أستاذ محاضر أ	المسيلة	مشرفا ومقررا
3	د خديجة ثلجوم	أستاذ مساعد أ	المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية :1445-1446هـ / 2024-2025م

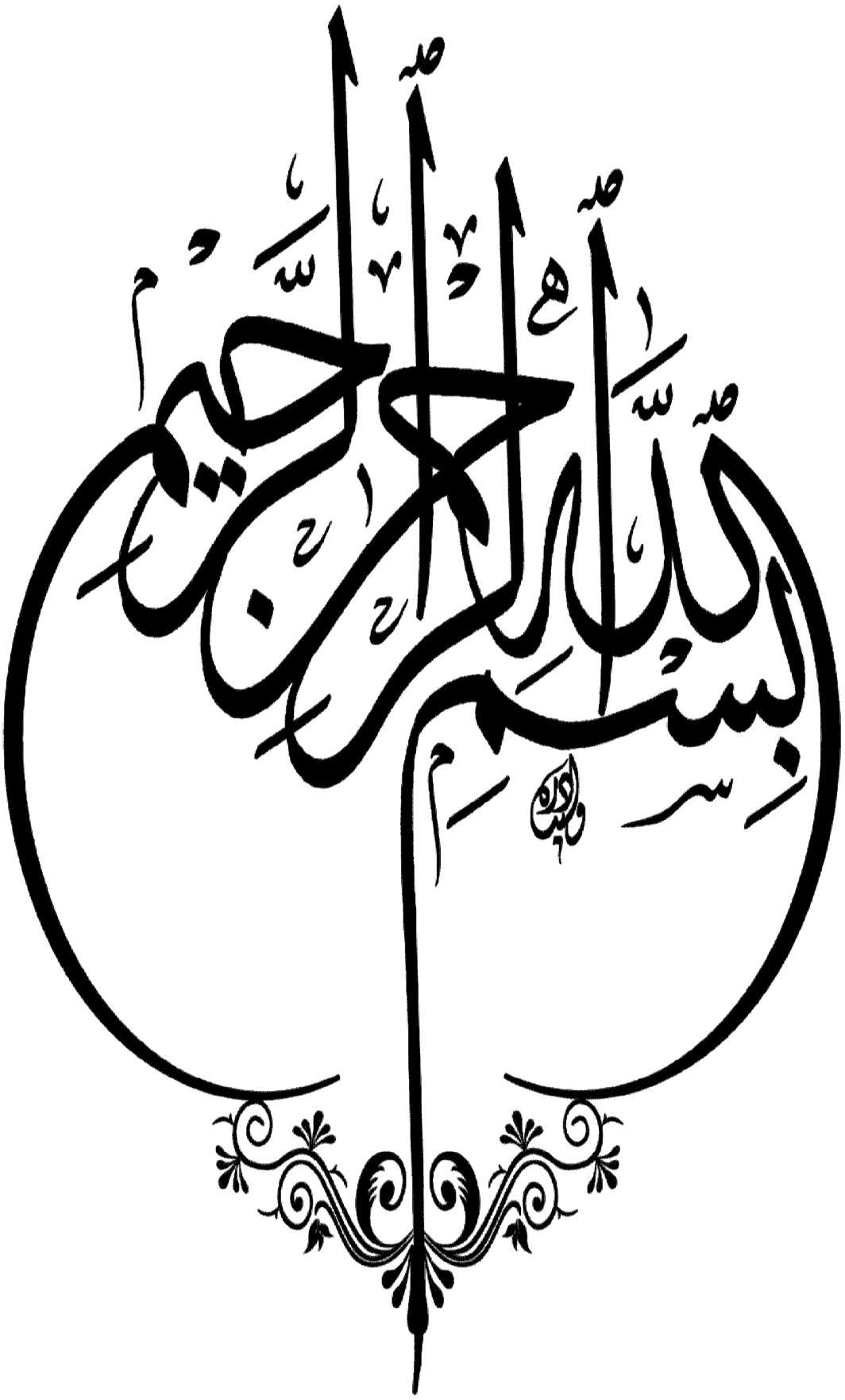
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى روح أبي وأخي الطاهرتين رحمهما الله

والى كل الأهل و الأحباب و الأصحاب

الى كل محب لعزه العزه و فلسطين الأبيه

أهدي هذا العمل المتواضع

وبالله التوفيق

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ

سورة إبراهيم الاية 7

أولا أتقدم بالشكر الكبير لله سبحانه وتعالى الذي وفقني على أداء هذا العمل ، وعلى الأصل نمشي والأصل يدفعنا إلى أن نرد الفضل لمستحقيه ، وأن نرد الشكر والعرفان لأصحابه ممن أفادونا ولو بذرة طيبة

ففي هذه اللحظات يتوقف الشخص ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات تتبعثر الأحرف وعبثا أن يحاول تجميعها في سطور

كما أخص بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دربي علمي

و إلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربي

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور : مُحَمَّد حصباية على كل ما قدمه لي من نصائح و إرشادات وتوجيهات خلال مسيرة هذا العمل

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل في قسم التاريخ تخصص الغرب الاسلامي بجامعة المسيلة

و إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد

فرج رليحة

مقدمة

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب الأوسط تعددا في الدول ، و كان لكل فترة تاريخية طابعها ، ونظمها الخاصة التي امتازت بها عن البقية ، وكان الفتح الإسلامي لهذه المنطقة هو البداية فانتشر الإسلام في المنطقة ، وأحكمت العلاقات بينها وبين المشرق الإسلامي مصدر دينها ولغتها و حضارتها ، التي بدأت في التشكل شيئا فشيئا من خلال الدين واللغة و النظم الإدارية والقضائية والأمنية، كما بدأت الدول المستقلة تتشكل في المغرب الإسلامي قامت أول الدول (الرستمية) في القرنين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين (160-296هـ-777-909م)، والتي تركت بصماتها الخاصة والعميقة في المنطقة بعد أن عمرت أكثر من قرن وربع قرن.

ومما لا شك فيه أنه لا يمكن لأي دولة أن تقوم إلا وفق تنظيم قضائي يسايرها ويعمل على خلق توازن في هيكلتها، وينظم شؤونها بتحقيق العدالة بين افراد مجتمعها وحماية وصون الحريات والحقوق فيها ،لذا عملت الدولة الرستمية على الإهتمام بالنظام القضائي لأجل المحافظة على استقرار البلاد والنظر في أمور الرعية وفض نزاعاتها وإقرار العدل، فحظي القضاء باهتمام بالغ لدى حكام الدولة الرستمية باعتباره أحد أهم الأنظمة في الدولة، فهو موضوع جوهري يستحق البحث والدراسة لما له من دور محوري في إرساء العدالة وحماية الحقوق فهو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها استقرار المجتمع ومن هنا جاءت دراستي الموسومة بـ: **القضاء بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي (160-296هـ/777-909م)**.

حدود الدراسة :

الإطار الزماني و المكاني: أما الإطار الزماني والمكاني لمذكرتي فهي ربوع الدولة الرستمية التي شملت تقريبا المغربيين الأوسط والأدنى باستثناء افريقية الأغلبية، وتربعت على مدى مائة وستة وثلاثين عاما ابتداء من 160هـ إلى 296 هـ / من 777م الى 909م،أي من منتصف القرن الثاني الهجري إلى القرن الثالث، وهي مدة معتبرة في مقياس عمر الدول آنذاك.

أسباب اختيار الموضوع:

وأما عن أسباب اختيار الموضوع فتعود إلى مجموعة من الأسباب التي تتأرجح بين أسباب موضوعية و ذاتية.

- ✓ **أما الموضوعية**: فأذكر منها:
  - التعرف على القضاء الإسلامي في هاته المرحلة وفي هذا القطر الإسلامي بالذات، إذ أنه من أعظم الخطط والوظائف الدينية.
  - معرفة أسباب وعوامل قوة القضاء في الدولة الرستمية.
  - معرفة مصادر القضاء بالمغرب الأوسط زمن الرستميين.
  - إبراز مدى تأثير القضاء على الدولة في مراحل قوتها وضعفها.
  - التعرف على مدى تطبيق الحدود التي نصت عليها مصادر التشريع القضائي بالمغرب الأوسط.
  - الرغبة في معرفة القضاء بمذهب ساد بلاد المغرب الأوسط وهو المذهب الإباضي.
  - الكشف عن مدى تطور القضاء في الدولة الرستمية، وماهي إضافات كل إمام رستمي.
  - إبراز طريق التقاضي في بلاد المغرب الأوسط في الفترة الوسيطية زمن الأسرة الرستمية.
  - الوقوف على أهمية وآثار القضاء على العمران البشري .
- ✓ **أما الذاتية** منها فهي:
  - الإهتمام الشخصي بالجانب الإداري والخوض فيه خصوصا في مجال القضاء الذي يعد أحد أهم المواضيع إثارة عندي.
  - معرفة أشهر قضاة الدولة وطبيعة االقضايا التي عولجت.
  - معرفة طبيعة المجتمع من خلال القضايا التي عولجت.

- الإحاطة بما تناقلته الكتب حول هذا النظام.
- معرفة مدى تأثير القضاة وتأثرهم بالمجتمع.

خلال ما سبق يمكن طرح الإشكالية الآتية:

إن هيكلة الدولة وتنصيب جهازها القضائي يعبر عن مدى قدرتها على تحقيق العدل، وبالتالي الاستمرارية الجغرافية والزمانية، ثم تحقيق ولاء العامة والنخبة للسلطة.

إن هذا الأمر يفرض علينا أن نبحث في مدى فاعلية الجهاز القضائي الرستمي؟وهل تمكن من شدّ قوائم الدولة وساعدها على البقاء والاستقرار؟ وكيف يعبر القضاء عن التأسيس للعمران البشري في المغرب الوسط في سياق الحكم الرستمي؟ وهل هناك ما يعبر عن وعي الحكام الرستميين بالتأسيس لفكر شرعي وقانوني يحقق العدل في مجتمعاتهم؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة وضعت الخطة التالي:

مقدمة وثلاثة فصول فخاتمة، تناولت في المقدمة تعريفا لموضوع الدراسة، أما عن الفصل التمهيدي تناولت فيه شرح أهم المصطلحات، سواء وردت في العنوان أو تخدم موضوع البحث، فجاء الفصل التمهيدي بعنوان:مصطلح القضاء والمغرب الأوسط، التوطين المذهبي ونشأة الدولة الرستمية ،شرحت بداية مصطلح القضاء من الجانب اللغوي و الإصطلاحي، ثم حاولت ضبط الحدود الجغرفية للمغرب الأوسط من خلال بعض المصادر الجغرافية، بعدها انتقلت للتعريف بمذهب الدولة الرستمية وهو المذهب الإباضي،نشأته في المشرق وانتقاله إلى المغرب،وختمت الفصل بالحديث عن نشأة الدولة الرستمية، ثم انتقلت إلى الفصل الأول الذي عنونته: مصادر التاريخ القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي ، الذي ضمّ ستة عناوين : تناولت في العنوان الأول: القرآن الكريم باعتباره أول مصدر للتشريع القضائي، كما تحدثت في العنوان الثاني عن السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع القضائي، أما االعنوان الثالث فخصصته للحديث عن أبرز وأهم المصادر الفقهية الإباضية المكتوبة التي أرخت للقضاء في فترة بحثنا، في حين جاء العنوان الرابع :المصادر التاريخية الإباضية ، اما العنوان الخامس :المصادر الفقهية المالكية التي أشارت للقضاء الرستمي، وختمت الفصل بالحديث عن المصادر التاريخية المالكية التي كان لها نصيب في التأريخ للقضاء بالمغرب الأوسط .

وفي الفصل الثاني :والذي عنونته بـ: ولاية القضاء بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي:حيث شئت أن أضع مدخلا موجزا عن تاريخ القضاء في المغرب الأوسط بدءا بالفتح الإسلامي، مرورا بعصر الولاة، وصولا إلى إمامة عبد الرحمان ابن رستم وما تبعها من تطور للقضاء زمن الأئمة بعده، ثم عرضت: مجلس القضاء،ذكرت فيه:دور القضاء،أعوان القاضي،توابع القضاء،أدوات القاضي،كما تناولت علاقة السلطة بالقضاء، ثم أعطيت أمثلة عن أشهر القضاة الرستميين، وختمته الفصل : بالحديث عن أثر القضاء على العمران البشري، ثم خاتمة توّجت بها دراستي، وهي عبارة عن استنتاجات حول الموضوع، وإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة،ختمتها بإشكالية حاولت فيها إحياء الموضوع للبحث فيه أكثر.

أهمية وأهداف الدراسة:

- وعن أهمية الموضوع فتكمن في إثراء المكتبة حول هذا الموضوع الذي يعدُ من الدراسات القليلة المتخصصة في هذا المجال.
- كما تهدف هاته الدراسة لمعرفة العوامل والأسباب التي أدت لجعل خطة القضاء أبرز الخطط وأخطرها في هاته المرحلة.
- الرغبة في بعث روح البحث في هذا النوع من الدراسات من أجل إثراء رصيدي العلمي والمعرفي من الناحية التاريخية.

المناهج المتبعة:

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات والإحاطة بجوانب الموضوع، اعتمدت في دراستي التاريخية على:

- المنهج **التاريخي** القائم على تتبع الأحداث والمراحل التاريخية والسياسية، وعرض الأوضاع القضائية والعمراني دون الإستغناء عن المنهج **التحليلي** الذي ساعدنا في تحليل واستنباط بعض الاستنتاجات التاريخية،كما اعتمدنا المنهج **الوصفي** للتطرق لمعرفة حقيقة الجهاز القضائي، انطلاقا من المصادر التي اعتمدها قضاته، وكذا سرد وعرض مجموعة من القضايا المختلفة، والتطرق للحقائق بطريقة علمية من أجل ترسيم المعطيات وجعلها أكثر تباينا، قصد إعطاء صورة حقيقية عن الدور الذي لعبه الجهاز القضائي في الدولة الرستمية.

الدراسات السابقة :

اهتم عدد من الباحثين والمؤرخين بدراسة موضوع القضاء خلال فترة الحكم الرستمي لعلّ أهمها:

إبراهيم بحاز: القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية، يعدّ أهم مرجع متخصص في قضاء الدولة الرستمية، والذي قدم معلومات هامة حول الموضوع، خصوصا أن مؤلفه له خبرة كبيرة في هذا المجال، وهو ما يتضح من خلال إنتاجاته.

عيس الحريري:بعنوانيه: مقدمات البناء السياسي و الدولة الرستمية حيث تتبع تطور الدولة الرستمية من النشأة إلى السقوط،وسلطّ الضوء على نظمها الإدارية، ومنها القضاء.

جودة عبد الكريم يوسف:الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن الثالث والرابع الهجري 9-10 م،هذا الكتاب وإن كان في عمومه يؤرخ للأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلا أنها تطرقت لجوانب من القضاء الرستمي.

مذكرة ماجيستير لفطيمة مطهري:التي قدمت شرحا وافيا عن ظروف قيام الدولة الرستمية، إضافة أنها أعطت صورة كافية عن نشأة المذهب الإباضي في المشرق ووصوله الى المغرب،وهو ما أفادنا كثيرا عند الحديث عنهما.

❁دراسة لأهم المصادر والمراجع:

وللإلمام بجوانب البحث، إعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع تختلف أهميتها حسب صلتها بالموضوع، فكانت جميعها باللغة العربية، نذكر منها:

أ- المصادر:

1- أخبار الأئمة الرستميين لإبن الصغير (ق:3هـ)، يعدّ أهم مصدر تاريخي خاص بالدولة الرستمية بصفته عايش آخر مراحل الدولة، وهو مهم جد، إذ يحتوي على معلومات قيمة في المجال القضائي والقضاة.

2- كتاب سير الإئمة وأخبارهم لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت780هـ)، تناول فيه سير الأئمة الإباضيين في المغرب الأوسط، كما احتوى على مؤشرات في مختلف المجالات من تأسيس الدولة الرستمية وأحداث مختلفة، يمكن استخلاص منها ما يخص النظام القضائي ،وكانت الاستفادة منه في جميع مراحل البحث.

3- سير مشايخ نفوسة للبغطوري (ت599هـ):في طيات هذا الكتاب ذكر لبعض قضاة الدولة الرستمية، استفدت منه في المبحث الخاص بشخصيات مارست القضاء.

4- **طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني (ت670هـ)**: الذي يعد من أهم المصادر الإباضية،ويتضمن تراجم لرجال وعلماء الإباضية وأخبار الأئمة والأحداث المهمة التي وقعت على عهدهم، كما نجد به معلومات عن القضاء خصوصا في الترجمة لبعض القضاة، وتناول أيضا بعض القضايا التي عالجها القضاء الرستمي.

ب- **المراجع:**

استلزمت الضرورة العلمية العودة إلى المراجع المتخصصة في تاريخ الدولة الرستمية، فأهم مرجعين لدراستي عن الدولة الرستمية كان كتابي إبراهيم بحاز.

1- **الدولة الرستمية(160هـ-196هـ) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والثقافية:** والذي يعدّ أهم مرجع من المراجع المتخصصة في التاريخ الرستمي، لأنه يركز في دراسته على الجانب السياسي للدولة الرستمية، إذ استفدت منه أكثر في الفصل التمهيدي والفصل الثاني.

2- **القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية:** الذي يعد أهم الكتب التي تناولت القضاء الرستمي،حيث أفادني في جميع مراحل البحث .

3- **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، لسليمان الباروني:** مرجع هام في تاريخ الدولة الرستمية يتكون من جزئين، استعملت في دراستي الجزء الثاني منه، أفادني في الفصل الثاني، إذ تناول نشأة القضاء، وتناول بعض قضاة الدولة الرستمية أيضا .

4- **معجم أعلام الإباضية لمحمد بن موسى بابا عمي وآخرين:** كان من أهم الكتب التي تناولت ترجمة للشخصيات الإباضية ،وقد استفدت منه في الفصل التمهيدي والأول أين استأنست به في ترجمة المؤرخين الإباضيين، كما استعملته في ترجمة قضاة الدولة الرستمية.

❁ صعوبات البحث:

كان من أبرز الصعوبات التي واجهتني:

- وجود المعلومات في المصادر بشكل عام،فبالرغم من أهمية النظام للدولة الرستمية، إلا أننا نجد ندرة في المعلومات التاريخية من المصادر، ونجد أنّ الكتابات التاريخية الحديثة لم تعط بعدا للقضاء في هاته المرحلة حقه الكامل،خصوصا لما كان له من أهمية،إذ عدّ القاضي الشخصية الثانية بعد الإمام.
- كما أن دراستي هاته وككلّ الدراسات تنقصها الوثائق الرسمية، كالأحكام والتعينات التي لم تشر إليها المصادر السابقة ولم أتحصل عليها.

- الاعتماد على الكتب الإلكترونية على جهاز الكمبيوتر، الذي أتعبني بدوره، وأضاع الكثير من الوقت لعدم تحكمي في التعامل معه.
- وفي الأخير، يجدر التنبيه إلا أنني حاولت أن أعطي صورة موجزة عن القضاء الرستمي.وقبل أن أمضي، أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور مُحَمَّد حصباية الذي سقاني من خبرته الكبيرة لإنجاز البحث الأكاديمي، من جمع المادة الخبرية إلى التحرير، كما أرشدني للتعرف على الكثير من أخطائي،فلم يبخل عليّ بالنصائح والتوجيهات والتصويبات والتصحيحات فجزاه الله عني كل خير،ثم شكري موصول إلى كل أساتذتي في الجامعة خلال مرحلة الماستر، و إلى كل من قدّم لي المساعدة، من قريب أو بعيد، كما أتقدم بالشكر للجنة المناقشة التي تشرفّت بمناقشةمذكرتي من أجل إثرائها وزيادة قيمتها العلمية.

الفصل التمهيدي

مصطلح القضاء و المغرب الأوسط ، التوطين المذهبي ،و نشأة الدولة الرستمية .

- مفهوم القضاء.
- المغرب الأوسط وحدوده الجغرافية.
- المذهب الاباضي في المغرب الأوسط.
- نشأة الدولة الرستمية .

الفصل التمهيدي: مصطلح القضاء والمغرب الأوسط، التوطين المذهبي ونشأة الدولة الرستمية .

– مفهوم القضاء

1 – القضاء لغة:

للقضاء معان كثيرة في اللغة لعل أقربها إلى مانحن فيه وما يفيد دراستنا هو:

الحكم، فالقضاء من القضية وأصله قضاوي، لأنه من قضيت، وحيث جاءت الياء بعد الألف قلبت همزة، وجمعه أقضية، وفعلها قضى يقضي قضاء وقضية[1] .

و جاء في القاموس المحيط القضاء ويقصد الحكم، قضى عليه يقضي قضيا وقضاء وقضية [2] ، ومنه قوله تعالى (وقضى ربك..) الإسراء 23.

والقضاء يأتي على وجوه كثيرة مرجعه إلى إنقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله وأتم أو حسم أو أدّي أو أوجب أو أعلم أو نفذ أو أومض فقد قضي[3].

كما إن القضاء في اللغة لفظ مشترك يطلق على معان كثيرة تدور في جملتها حول الحكم والفصل والقطع والحتم والإلزام وتمام الفراغ من الشيء [4].

وسمي القضاء حكما لما فيه من الحكمة التي توجب وضع الشيء في محله، لكونه يكف الظالم عن ظلمه، فالقاضي بهذا المعنى القاطع للأمور والمحكم لها [5].

لقد ورد لفظ القضاء في مواضع عدة في القرآن الكريم، نذكر منها [6].

– الخلق والصنع قال الله تعالى: (فقضاهن سبع سموات ...)فصلت 11، أي خلقهن وصنعهن.

---

[1] جمال الدين بن مكرم بن علي بن احمد بن أبي القاسم بن منظور الأنصاري المصري (ت 711هـ)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990، ج5، ص176 .

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 871هـ)، القاموس المحيط، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978، ص371 .

[3] ابن منظور، المصدر السابق، ص-(178- 185)؛محمد الزحيلي، تاريخ القضاء في الاسلام، ط1، دار الفكر المعاصر، سوريا، 1995، ص9 ؛ هدى علي يحي العماد، القضاء في الاسلام (تعريفا حكما شروطا)، ط1، صنعاء، الأردن، 2023، ص13

[4] عبد الجبار حسين ظاهر القحطاني، ديوان المظالم والقضاء في الدولة الاسلامية، مركز الدراسات والبحوث العلمية والاستراتيجية الحضاري، الرياض، السعودية، 2024، ص28. ؛أمحمد علي أمحمد التائب المشاي :تاريخ القضاء في الدولة العربية الاسلامية (11-232هـ/632-748م)، رسالة ماجيستير، تخصص تاريخ اسلامي، إشراف علي حين الشطشاط، قسم التاريخ، كلية الأدب والتربية، جامعة التحدي، ليبيا، 206-207، ص8.

[5] القحطاني، المرجع السابق، ص29.

[6] هدى العماد، المرجع السابق، ص-(13-16) ؛ القحطاني، المرجع السابق، ص29 ؛ المشاي، الرمجع السابق، ص12 .

- الوجوب والوقوع والفراغ، مثل قوله تعالى:(...قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان ...)يوسف41.
- العمل مثل قوله تعالى :(...فاقض ما أنت قاض...)فصلت11، معناه أعمل ماأنت عامل.
- الحتم والأمر، مثل قوله تعالى:(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه...)الاسراء23، أي أمر ربك وحتم وأوجب.
- الأداء، مثل قوله تعالى:(فإذا قضيتم مناسككم ...) البقرة 200، أي أديتم، ومثله قوله تعالى: (فإذا قضيتم الصلاة...)النساء103، أي أديتموها.
- الإتمام والإكمال مثل قوله تعالى:(فلما قضى موسى الأجل ...) القصص29.
- الموت قول الله تعالى:(...فمنهم من قضى نحبه ...) الأحزاب 33، قضى نحبه أي مات.

والناظر إلى كل هذه المعاني التي وردت في القرآن الكريم يرى أن جميعها تلتقي عند الفصل والحسم والإنجاز.

2 – القضاء إصطلاحا:

تعددت مفاهيم القضاء إصطلاحا، وكان من أبرزها:

ما ذكره بن خلدون: (أما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة، لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة)[1]، وأما الماوردي فعرفه بأنه:(فصل في المنازعات وقطع التشاجر والخصومات، إما صلحا عن تراض، ويرعى فيه الجواز، أو إجبارا بحكم ...واستيفاء الحقوق ممن مطل بها ولإيصالها إلى مستحقيها بعد ثبوت استحقاقها من أحد وجهين :إقرارا أو بينة)[2].

ومنه فالقضاء فصل الخصومات وفض المنازعات، عن طريق إلزام الخصوم بالأحكام الشرعية، من الكتاب والسنة والإجتهاد بحكم شرعي[3].

فالقضاء إذن، في معناه الإصطلاحي لا يخرج عن معناه اللغوي، بإلزام من له إلزام في الوقائع الخاصة بحكم شرعي[4]

[1]عبد الرحمان بن خلدون ، مقدمة كتاب العبروديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر، تح: محمد الشامي، شركة دار الكتاب الحديث، الجزائر ، 2016م، ص265.

[2]أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح:أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار قتيبة، الكويت، 1989، ص94 .

[3]أحمد شلبي موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، ج7، تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ النظم القضائية في الإسلام مع بحوث إضافية عن القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص246.

[4]المشاي، المرجع السابق، ص14 .

وأحسن تعريف يمكن وضعه للقضاء: أنه الحكم أو الفصل بين الناس في خصوماتهم حسما للتداعي، وقطعا للنزاع، بالقانون الإسلامي بكيفية مخصوصة، [1] ويقصد به رفع الدعوى إلى القاضي والأساليب والضوابط التي يلتزم بها القاضي والخصوم في إجراء التقاضي والترافع أمام القاضي ووسائل الإثبات للحق المدعي به ووسائل رفع الدعوة ويقوم القاضي بإصدار حكمه الحاسم للنزاع وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية المستفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية على سبيل الإلزام [2].

– المغرب الأوسط وحدوده الجغرافية

امتلك المغرب الأوسط موقعا حيويا يتوسط أقاليم المغرب الإسلامي مما جعله نقطة وصل مهمة ، وقد هيأ إقليم المغرب الأوسط لسكانه رخاء واسعا قديما وحديثا من موارد العمران البشري[3].

أما بالنسبة لحدود المغرب الأوسط،الذي شكّل محل اهتمام الباحثين الجغرافيين والمؤرخين، واختلفوا في ضبط حدوده خلال الفترة الوسيطية، نظرا لعدم استقرار حدوده لأنها تخضع للتوسع والتقلص في بعض المراحل بسبب حالة القوة والضعف للدول المتعاقبة على المغرب الأوسط[4]، كما أن التداخل بين الكيانات قد أثر بقوة على تحديد المجال الجغرافي، ناهيك عن فترات الاضطراب التي شهدتها المنطقة [5].

أما مصطلح المغرب الأوسط، فنجد أولى إشاراته عند بن حوقل، حيث استعمل مصطلح متوسط بلاد المغرب في قوله: (...فأنزلوهم وأضافوهم وعلفوهم وأكرموهم وبلغوهم ولم يلزموهم شيئا وأجازوهم إلى متوسط بلاد المغرب، وجميعهم يبيحون البلاد للمراعي والزرع والمياه لورود الإبل والماشية) [6].

كما ظهر مصطلح المغرب الأوسط في كتاب البكري (ت487هـ) عند وصفه مدينة تلمسان قائلا:(وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ...وهي دار مملكة زناتة [7]، وموسّطة قبائل البربر[8] ومقصد

---

[1]الزحيلي، المرجع السابق، ص12.

[2]هدى العماد، المرجع السابق، ص16؛ القحطاني، المرجع السابق، ص36.

[3]محمد حصباية، المغرب الأوسط :المجال والإنسان والإندماج، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 6، العدد01، 2022، جامعة المسيلة، الجزائر، ص194.

[4]عبدالعزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دارالهدى، عين مليلة، الجزائر، 2014، ص11

[5]عبد القادر بوعقادة، هل المغرب الأوسط خرافة؟، مجلة عصور جديدة، ع/21، 22، الجزائر، 2016، ص61

[6]أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي ابن حوقل (ت367هـ)، صورة الأرض، ط1، منشورات مكتبة دار الحياة، 1988، ص100.

[7]**زناتة** :أم البتر الزناتية فهم البدو الذين أقبلوا من داخل القارة واستقروا في برقة وطرابلس وانتشروا في إقليم الجريد والصحاري المحيطة بالمغرب الأوسط من الجنوب وقد اختلط والى درجة كبيرة بالبربر ...هي من أنشأت دول بني مرين، وبني زيان، وبني وطاس، للتفصيل أنظر حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضاراته من قبيل الفتح العربي الى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن 6مالى القرن 19م)، ط1، مج1، ج1، ص-(54-56).

[8]**البربر** :...سكان بلاد البربر في إفريقية الشمالية ... يعيشون في جبال الأطلس ...، عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ)، العبر وديوان المبتدأوالخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، ط1، دار الفكر، بيروت، 2002، ج6، ص248.

لتجار الآفاق [1])، ثم بدأ العثور على مثل هذا المصطلح في الكتابات الجغرافية وغيرها من الكتابات بداية من النصف الثاني للقرن 5هـ /11م، دليلا على التقسيم الاداري والجغرافي الذي بدأت تعرفه بلاد المغرب في هذه الفترة، فبالانتقال إلى القرن السادس الهجري بدأ الجغرافيون العرب والمسلمون وضع أقسام لهذه البلاد [2]، ليضيف الإدريسي في كتاباته ذكر مصطلح المغرب الأوسط من خلال تعداده للمدن الواقعة في الجزء الأول من الإقليم الثالث حيث يذكر:(...وفيه من بلاد المغرب الأوسط تنس[3] وبرشك وجزائر بني مزغنا[4] وتدلس وبجاية وجيجل وملیانة والقلعة والمسيلة والغدير ومقرة وطبنة[5] ...وواد مدين وبلزمة[6] ودار الملوك ...)[7]، وأضاف أن:(مدينة بجاية في وقتنا هي مدينة المغرب الأوسط وعين بلادي بني حماد)[8]، وعن تلمسان قال:(... ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب الأوسط)[9].

ويذكر ابن خلدون أن المغرب الأوسط هو جزء من الإقليم الثالث، يحده غربا نهر ملوية [10] الذي يعد آخر المغرب الأقصى ويضم تلمسان وسواحلها على البحر الرومي [11] من بلد هنين [12]ووهران والجزائر، ثم يتصل ببجاية شرقا ويضم بلد أشير [13] وبلد المسيلة ثم الزاب [14]وقاعدته بسكرة تحت جبل أوراس[15]المتصل بدرن وتبسة والأريس

---

[1] أبو عبد الله عبد العزيز محمد البكري (ت487هـ)، المسالك والممالك، تح جملة طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ج2، ص289 ؛ عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص62.

[2] عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص63 .

[3] **تنس** :بينها وبين البحر ميلان وهي مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى ...البكري، المصدر السابق، ج2، ص242 .

[4] **جزائر بني مزغنا** :مدينة جليلة قديمة البيان في الأثار للأول وأزاج محكمة تدل أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم، البكري المصدر نفسه، ج2، ص248 .

[5] **طبنة** : مدينة الزاب تقع على مرحلتين من لمسيلة، قرب الأوراس، هي مدينة كثيرة المياه تقع وسط حدائق وحقول، أبي عبد الله الحسني الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 2002، ص254 .

[6] **بلزمة :** تقع على الطريق مابين القيروان والزاب، تعتبر من الحصون الرومانية بمنطقة الزاب، الحسن الوزان، وصف افريقيا، تر :محمد حجي، محمد الأحضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ج1، ص32.

[7] الإدريسي، المصدر نفسه، ص –(251-260)؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص13.

[8] **بني حماد :** نسبة الى حماد بن بلكين الذي عهد اليه ناصر الدولة باديس بن بلكين بن زيزي بن مناد الصنهاجي أمر ضبط الأمن في المغرب الأوسط ... سارع الى إنشاء قاعدة عسكرية هي القلعة ...، حسين مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص679 .

[9] الإدريسي، المصدر السابق، ص-(153-155) .

[10] **نهر ملوية :**نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازي يصب في البحر الرومي، وعليه كانت ديار مكناسة ثم زناتة ...، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص212 .

[11] **البحر الرومي :** حد المغرب من جهة الشمال المتفرع من البحر المحيط، يخرج في خليج متضايق بين طنجة من بلاد المغرب وطريق من بلاد الأندلس ...، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص129 .

[12] **هنين :**مدينة بالمغرب جليلة على البحر وشمالها تلمسان وهي بالقرب من ندرومة ...، عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت727هـ)، الروض المعطار في خير الأقطار، تح :احسان عباس، ط2، مطابع هيد لبرغ، لبنان، 1984، ص597 .

[13] **أشير :**مدينة بحصن يسكنها آل زيري بن مناد ولها سور حصين ...، ابن حوقل، المصدر السابق، ص91.

[14] **الزاب :**يبتدأ الزاب من تخوم المسيلة ويمتد شرقا الى إقليم الجريد بتونس وهو منطقة رملية شديدة الحرارة ...، الوزان، المصدر السابق، ص138 .

[15] **جبل أوراس :** جبل قريب من باغاية بإفريقية بينه وبين نقاوس ثلاث مراحل .... وفي الجبل كانت الملكة الكاهنة المقتولة في الفتح الأول على يد المسلمين ...، الحميري، المصدر السابق، ص(65-66).

وعلى ساحل البحر بونة[1]

ويحده شرقا بلاد إفريقية ومضارب قبائلها من ديار نفزاوة وبني يفزن ونفوسة[2]وقاعدتها القيروان [3])[4].

أما أبو الفداء فيقسّم المغرب ثلاثة أجزاء بقوله: (وبلاد المغرب ثلاث قطع، الغربية منها تعرف بالمغرب الأقصى...والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران عن تلمسان مسيرة يوم في شرقها إلى آخر حدود مملكة بجاية من المشرق)[5].

وعند القشقلندي يظهر المصطلح بارزا في أكثر من موضع فحين يتحدث عن بجاية يقول: (بجاية مدينة من مدن الغرب الأوسط الواقعة في أوائل الإقليم الرابع من الآقاليم السبعة ...وهي قاعدة الغرب الأوسط)[6]، وعن تلمسان يقول:(تلمسان مملكة الغرب الأوسط أما حدودها فحدها من الشرق حدود مملكة إفريقية وما أضيف إليها من جهة الغرب، وحدّها من الشمال البحر الرومي، وحدها من الغرب حدود مملكة فاس، وحدها من الجنوب المفاوز [7] الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان[8].

أما حسن الوزان فقسّم بلاد المغرب –بلاد البربر –على أربعة ممالك:مراكش، فاس، تلمسان، وتونس التي تضّم إقليم بجاية وقسنطينة وزاب وطرابلس ... أما (مملكة تلمسان التي يحدها نهر ملوية غربا والواد الكبير شرقا وصحراء نوميديا جنوبا)[9]

في حين يرى صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار أن المغرب الأوسط قاعدته تلمسان وحده يبدأ من هذه الأخيرة باتجاه المدن الساحلية وهران مليلة إلى مدينة تنزل فيقول: (فيه مدن وأقطار واسعة وعمائر متصلة تحد بلاد المغرب من آخر المغرب الأوسط إلى بلاد تازا إلى آخر بلاد المغرب على ساحل البحر الكبير

---

[1] **بونة :** قرية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت ... حولها قبائل كثيرة من البربر:مصمودة وأوربة ...، البكري، المصدر السابق، ج2، ص234.

[2] **نفوسة** :نسبة إلى نفوس ابن رحيك ابن مادعيس الأبتر جد البرابرة البتر من أوسع قبائل البربر، كانت موطن جمهورهم بجهات طرابلس وما إليها وهناك الجبل المعروف بهم، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص149.

[3] **القيروان :** قاعدة البلاد الإفريقية وأهم مدنها ...افتتحت زمن معاوية على يد عقبة بن نافع سنة 50هـ ...، الحميري، المصدر السابق، ص486 .

[4] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص-(76-132)، محمد حصباية، المرجع السابق، ص194.

[5] عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمرو أبو الفداء (ت732هـ)، تقويم البلدان، اعتناء :رينود و البارون ماك كوكين ديسالان، دار صادر، بيروت، ص122 .

[6] أحمد القلقشندي (ت821هـ)، صبح الأعشا في صناعة الإنشا، تح:نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5، ص105 .

[7] **المفاوز**: المفاز والمفازة:البرية والقفر وتجمع مفاوز، ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص239 .

[8] القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص143 ؛بوعقادة، المرجع السابق، ص65.

[9] الوزان، المرجع السابق، ج1، ص(30-31).

الداخل من البحر المحيط عند مرسى آزمور[1] طولا ...)[2].

مما سبق، يتضح أن حدود المغرب الأوسط مسألة معقدة، بسبب تداخل جملة من العوامل السياسية والاجتماعية في ذلك، فحياة اللاإستقرار وسمة الترحال لقبائله حالت دون ثبات الحدود الجغرافية له.

– المذهب الاباضي في المغرب الأوسط :

أطلق الاباضية على أنفسهم لقب جماعة المسلمين، وأهل الحق والإستقامة[3]، وأهل الدعوة[4]، وحول نسبة المذهب الإباضي فيذكر كلّ من:

الشماخي:جابر أصل المذهب وأسسه [5]، ويقول عن ابن إباض أيضا: (من أهل التحقق، العمدة سلك بأصحابه محجة الغلال وفاق سبيل الظلال والجهل ...وهو يصدر رأيه عن جابر بن زيد [6])[7] .

الدرجيني: يجعل أول من تزعم الإباضية هو أبو بلال بن مرداس فوصفه بـ: (الورع والديانة والعلم والصيانة والفضائل التي لا تحصى) [8].

---

[1] **آزمور** :مدينة من مدن الغرب وحواضره على حد الغرب من جهة البحر المحيط ...، ابن خلدون، العبر، ج6، ص129.

[2] مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق :زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص176 .

[3] **أهل الحق والاستقامة** :أطلقه الإباضية على أنفسهم خلال القرون الأولى إلى يومنا هذا، وهذا دلالة على أن الإباضية ارتبطت في تسميتها منذ النشأة بالأفكار والمبادئ:الحق، الإستقامة، الدعوة ... دون الانتسابإلى الأشخاص، مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج1، ص79.

[4] مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ)، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1996، ص95 ؛علي يحي معمر، المرجع السابق، ص20.

[5] ابو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي ، كتاب السير، تح أحمد بن سعود السياجي، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1992، ص182.

[6] **جابر بن زيد اليحمدي الأسدي العماني البصري (أبو الشعثاء)(ت93م)**: نشأ في أحضان عائلة علم ورواية، قصد البصرة واتخذها دار مقام وعلم، روى الحديث عن ثلة من الصحابة منهم عائشة أم المؤمنين ...، كان إماما في التفسير والحديث، ترك موسوعة علمية نفيسة تسمى ديوان جابر ...هو واضع قواعد الإجتهاد للمذهب الإباضي، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص(108-109).

[7] الشماخي، المصدر السابق، ص189.

[8] أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975، ج2، ص-(214-224)؛فطيمة مطهري، مدينة تيهات الرستمية، دراسة تاريخية حضارية، القرن 2-3هـ/8-9م، رسالة ماجيستير، اشراف معروف بلحاج، قسم التاريخ والأثار، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص218 .

يعدّ جابر بن زيد الإمام الروحي وفقيه الإباضية ومفتيهم، وهو الذي بلور الفكر الإباضي، أما إبن إباض فكان مسؤولا عن الدعوة والدعاة في شتى الأقطار[1]، وكان هو الذي يتولى مناظرة المخالفيين للإباضية لقدرته على المناظرة والمجادلة، ومن هنا كانت النسبة إليه لظهوره علنا بخلاف جابر بن زيد الذي اختار التقية .[2]

والكتمان [3] لمركزه العلمي أولا، ولكي لا تصل إليه السلطة الأموية ولا تمسه بسوء، فيخسره أصحابه فتكون نكبة على الدعوة الإباضية كلها [4].

إن الإباضية إلى يومنا هذا يعتبرون جابرا إمام مذهبهم وشيخهم، و تلميذه وخليفته في الكتمان هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة [5]، وهذا بدوره كان شيخ الربيع[6] واضع مسند الإباضية في الحديث النبوي [7]، وقد استمر أبو عبيدة مسلم في قيادة الحركة فأخذ يعدّ أعضاءها إعداد روحيا وعلميا وركز جهوده على تكوين الطلبة لبعثهم إلى الأمصار البعيدة عن مركز الدعوة بهدف إمامة الظهور، [8]، وبلاد المغرب من المناطق التي لاقت اهتماما من قبله، فأوفد سلمة بن سعد [9]إلى المغرب للدعوة إلى المذهب، [10] فكان أول شخصية نقلت مبادئ الإباضية لبلاد المغرب [11]، الذي عرفت الحركة الإباضية في عهده الطويل نظاما دقيقا [12].

---

[1] موسى لقبال، المغرب الاسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص164 ؛عوض خليفات، ص12 ؛يحي معمر، ص21.

[2] **التقية** : أن يظهر الشخص خلاف مايعتقد من فعل أو قول مخافة لحوق ضرر به ...يهدد أو يقطع منفعة معيشة ومرادفها عند الإباضية الإكراه، مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص1099 .

[3] **الكتمان** : أحد أنواع مسالك الدين الأربعة، وهي الإمامة الصغرى، ويتم التمسك بالدين خفاء والمحافظة عليه دون إعلان حتى لا يتسبب ذلك في زواله ....وفي الكتمان تتولى سلطة جماعية تسيير شؤون المجتمع، مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص905.

[4] إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، ط2، المطبعة العربية، غرداية، 1994، ص75 ؛خليفة النامي، المرجع السابق، ص61 ؛عوض خليفات، المرجع السابق، ص83 .

[5] **مسلم بن ابي كريمة التميمي القفاف (ابو عبيدة) ت145هـ** : ...سياسي محنك وعالم جليل عرفت الإباضية على يده أكبر إنجازاتها السياسية في المشرق والمغرب أخذ العلم عن الإمام جابر بن زيد وتولى الإمام بعده ... تخرج على يده مشاهير أيمة الإباضية المشارقة والمغاربة ...، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص(418-419).

[6] **الربيع بن حبيب:** من علماء القرن الثاني، عاصر الإمام أفلح بن عبد الوهاب توفي سنة 172هـ، له مسند في الحديث يعتمد عليه الإباضية ويعتبرونه مسندا صحيحا يحتوي على أربعة أجزاء ...، فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص267-268 .

[7] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص(75-76).

[8] **امامة الظهور** : مظهر من مظاهر الإمامة وواحد من مسالك الدين الاربعة وهي الإمامة الكبرى وتأتي غالبا بعد إمامة الدفاع، ويكون فيها أمر المؤمنين ظاهرا بحيث يستطيعون تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود ومحاربة الظالم ورد العدو، مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص659.

[9] **سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني (حي 135هـ)** : عالم عامل وداعية صنفه الدرجيني في طبقة تابعي التابعيين، أخذ العلم عن جابر بن زيد وعن ابي عبيدة مسلم ...هو أول من جاء من البصرة بمذهب الاباضية ليدعوا اليه في بلاد المغرب الاسلامي بداية القرن 2هـ ...من آثار دعوته فوج حملة العلم المغاربة، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص-(189-192) .

[10] خليفة النامي، المرجع السابق، ص63 ؛محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص48 ؛مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص25.

[11] موسى لقبال، المرجع السابق ؛ص165؛فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص190؛عوض خليفات، المرجع السابق، ص135 .

[12] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص76.

يروي الدرجيني على لسان عبد الرحمان بن رستم نفسه فيقول: (أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان إفريقية سلمة ابن سعد، قال:قدم علينا من أرض البصرة ...فسمعت سلمة يقول:وددت أن لو ظهر هذا الأمر ...يوما واحدا فلا آسف على الحياة بعده)[1].

وقد نجح سلمة في مهمته واستطاع كسب عدد من الأتباع خصوصا بجبل نفوسة، ومنذ ذلك الحين أصبح الجبل دار هجرة للمذهب الإباضي وانتشر المذهب بين قبائل [2]هوارة [3]– زناتة –سدراتة [4]– لواتة[5] زواغة [6] وزاد إقبالهم للتعرف والتغلغل في تعاليم هذا المذهب، فكونوا بعثة علمية عرفت بحملة العلم [7] عند الإباضية [8]، حيث سلمة على انتقاء شخصيات من بين القبائل البربرية المختلفة، حتى يسهل عليهم إقناع قبائلهم بعد رجوعهم، ودامت فترة تعلمهم عند شيخ المذهب الإباضي خمسة أعوام [9]، زودهم بالمعلومات الضرورية لظهور مذهبهم وخروجه من طور الكتمان [10].

تعدُّ هذه البعثة ثمرة جهود قام بها رجال إباضيون حاولوا ترسيخ مبادئهم بأساليب اللّين والبعد عن الفتن وساعدهم جنوح أتباع المذهب الصفري [11]للعنف[12].

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص(11-12) ؛علي يحي معمر، المرجع السابق، ص43.

[2] عوض خليفات، المرجع السابق، ص95.

[3] **هوارة** : تتواجد بضواحي طرابلس وبرقة، لكن بعض فروعهم ترحلت نحو الصحراء، وكانت مقبلة على الاسلام والجهاد ومن أشهر قادتهم زواوة بن نعيم ...، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص(286-287)

[4] **سدراتة** :وهي سدراتة بن نيطط بن لوا، بطن من بطون لواتة، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص153 .

[5] **لواتة** : بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون الى لوا الأصغر بن لوا الأكبر، ولوا الأصغر هو نفزا وهو اسم أبيهم، والبربر اذا ارادوا العموم في الجمع زادو ألف والتاء فصارت لوات ...والعرب ألحقوا هاء الجمع، وكان موطنهم نواحي برقة وكان منهم بجبل أوراس، ابن خلدون المصدر نفسه، ج6، ص(152-153) .

[6] زواغة : لهم ثلاثة بطون دمر، بنو واصل، بنو ماخر، منهم بنواحي طرابلس متفرقون في برار ولهم هناك الجبل المعروف بدمر وفي قسنطينة وكذلك بجبال الشلف، ابن خلدون، نفسه، ج6، ص170.

[7] **حملة العلم** : التلاميذ الذين تخرجوا في مدرسة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة في النصف الأول من القرن الثاني هجري ...يشكلون النواة الأولى للفكر الإباضي ومنهم عبد الرحمان بن رستم، أبو المنيب إسماعيل بن درار الغدامسي، أبو داود القبلي النفزاوي، عاصم السدراتي، أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري، مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج1، ص308 .

[8] عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضاراتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والاندلس، ط3، دار القلم، الكويت، 1987، ص85 ؛ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص76 ؛محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص(54-55).

[9] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص56 ؛عيسى الحريري، المرجع السابق، ص87 ؛مسعود مزهودي المرجع السابق، ص30.

[10] ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص76.

[11] **المذهب الصفري** :هم أتباع عبد الله بن الصفار وإليه النسبة، قيل سموا بذلك لصفرة وجوههم من كثرة العبادة وهذا ضعيف، والصفرية من مذاهب الخوارج، ابن الصغير (ق 3 هـ)، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد الناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1986، هامش رقم 2، ص108 .

[12] عيسى الحريري، المرجع السابق، ص81 .

ولما همّت البعثة بالرحيل والعودة إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي اقترح عليهم شيخها أبو عبيدة إن آنسوا من أنفسهم قوة وأرادوا إعلان إمامة [1]إباضية أن يعقدوها لأبي الخطاب، [2]وكان كما اقترح إذ بُويع أبو الخطاب بالإمامة سنة 140هـ، واستطاع أن يدخل القيروان سنة 141هـ، فعيّن عبد الرحمان بن رستم واليا عليها أو قاضيا [3].

ومن معتقدات المذهب الإباضي[4]:

- الصفات الإلهية هي عين ذات الله، نفيا لتعدد القدماء.
- رؤية الله لا تحقق للإنسانأبدا في الآخرة، فضلا عن الدنيا.
- القرآن مخلوق عند قسم منهم، المغاربة خاصة.
- الإنسان حر في اختياره، مكتسب لعمله، ليس مجبرا عليه.
- مصادر التشريع هي: القرآن والسنة والرأي وهذا الأخير قد يأتي بمعنى الاجتهاد أو الاجماع أو القياس.
- الإمامة فرض وشرطها الكفاءة الشرعية .

– نشأة الدولة الرستمية

تعد إمامة أبي الخطاب سنة 140هـ أول إمامة تعقد للإباضيين في بلاد المغرب [5]، حيث كان عبد الرحمان بن رستم جزءا منها بتوليته القيروان وماجاورها من مدن من قبل أبي الخطاب [6] –كما سبق ذكره – وظل عاملا عليها إلى أن شهدت المنطقة مجموعة من الإضطرابات أدت إلى فشل الإباضية في السيطرة على القيروان والاحتفاظ بإمارتهم بطرابلس [7]وكانت سنة 144هـ إعلانا بسقوط دولة أبي الخطاب بمقتله بالقرب

---

[1]**إمامة** : تجمع التعاريف على اعتبارها قيادة ورئاسة ونظام حكم وسلطة دينية وسياسية، وأنها خلافة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تعنى بكل شؤون الأمة إقامة للشرع ودفاعا عن الحقوق، مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج1، ص60 .

[2]**عبد الأعلى بن السمح بن عبيد المعافيري الحميري اليمني (أبو الخطاب)ت144هـ :** من علماء اليمن في القرن الثاني هجري، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بالبصرة، وهناك التقى بالطلبة المغاربة، ثم انتقل معهم الى المغرب لمواصلة الدعوة، عقدت له الإمامة، وانتصر في معركة مغمداس على جيش العباسيين، قضى محمد بنو الاشعث عليه في معركة تاورغا، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص242.

[3]ابن الصغير، المصدر السابق، الهامش رقم 2، ص30 ؛ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص146 ؛محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص64-66.

[4]إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص-75-79.

[5] ابو زكرياء يحي الورجلاني ، السيرة وأخبار الأئمة، تح اسماعيل العربي، ط1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ج1، ص64 ؛الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص22 ؛موسى لقبال، المرجع السابق، ص16.

[6] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1964، ج2، ص53 .

[7]**طرابلس** : مدينة جليلة عامرة حفت بها من نواحيها الغابات وجنات ملتفة وحدائق مصطفة ... وبها من التمر والزروع ماليس لغيرها، الإدريسي، المصدر السابق، ص191 .

من تاورغا [1] وتمزقت صفوف الإباضية، [2]ولما بلغ عبد الرحمان بن رستم وفاة أبي الخطاب فت ذلك في عضد جيشه وتفرغ عنه، فكرّ عبد الرحمان إلى القيروان فألقاها ثائرة عليه، فاحتمل وتوجه إلى المغرب الأوسط [3]، وانتهى به المطاف عند جبل جزول [4] الذي كان موطن قبيلة لماية [5] البترية في منطقة تيهرت [6] بالمغرب الأوسط. بناء على اتفاق مسبق[7] وبدافع مذهبي[8] .

لقد لحق بعبد الرحمان ستون شيخا من إباضية طرابلس، ولما كثر عدد الإباضية بدأوا يفكرون في بناء مدينة تأويهم وتكون حصنا لهم تحميهم من الأخطار الخارجية التي تهددهم [9]، وبالتالي أصبحت تيهرت المكان المناسب ليكون عاصمة للدولة الإباضية الجديدة[10].

اجتمع الإباضية لعبد الرحمان بن رستم واتفقوا على تقديمه ومبايعته على الإمامة بعد بناء مدينة تيهرت [11]، فظلّ عبد الرحمان متحصنا تقصده الإباضية من كل جانب[12]، ومن أجل إقامة مكان يلم شمل الإباضية المشتتين في بلاد المغرب، وقع اختيار تيهرت بعد إقرار الإباضية ببناء مدينة يتحصنون بها لأجل إنجاح هذا المشروع الكبير [13].

لقد تم اختيار تيهرت بعناية كبيرة، فهي منطقة داخلية منطوية على نفسها، بمعنى توجه أنظارها نحو الداخل وتدير ظهرها للبحر، وهذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب[14]،

---

[1] **تاورغا** :أو تاورقى :منزل عامر في طريق ساحل الزيتونة، البكري، المصدر السابق، ج2، ص191 .

[2] أبو زكرياء، المصدر السابق، ج1، ص69 ؛حسين مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص322 .

[3] مبارك الميلي، المرجع السابق، ص64.

[4] **جزول** : نسبة الى قبيلة بربرية تدعى كزولة أو جزولة، وأهم مواطنهم أرض السوس موزعون بين قبائل في المغرب الأوسط، ونسب إليهم جبل كزول القريب من تيهرت ...، عبد الحميد زغلول، تاريخ المغرب العربي (تاريخ دولة الآغالبة والرستميين وبني مدرار والآدارسة حتى قيام الفاطميين)، منشأة المعارف، مصر، 1979، ج2، ص291.

[5] **لماية** : وهم بطون عظيمة ...كانوا ضواع بإفريقية والمغرب، وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط، موطنهم بسجومة مما يلي الصحراء، ولما سرى دين الخارجية بين البربر أخذوا برأي الإباضية ودانوا به وانتحلوه ...، ابن خلدون، ج6، ص158 .

[6] **تيهرت او تاهرت** :لفظتان زناتيتان بمعنى اللبؤة، وهي مدينة مشهورة من مدن المغرب الوسط، وكانت فيما سلف مدينتان أحدهما قديمة والأخرى محدثة، وفيها ثلاثة أبوب ...، الحميري، المصدر السابق، ص1216 .

[7] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص68 ؛جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص-(29 -31) ؛ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص110 .

[8] فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص60 .

[9] ابراهيم بحاز، المرجع نفسه، ص70.

[10] فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص61 .

[11] عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص29 .

[12] مبارك الميلي، المرجع السابق، ص64 .

[13] ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص114 ؛ عبد الكريم جودت ن المرجع السابق، ص30.

[14] عبد الحميد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص291 .

كما يوجد بها طريق من الجنوب يسهل الاتصال بإباضية جبل نفوسة، ثم إن هذا الموقع يتيح لها وفرة الماء ويفتح المجال للمرعى، وكان غالبية سكان هذه النواحي بدوا رعاة[1]، إلى جانب أن تيهرت واقعة على تخوم الصحراء بعيدة عن القيروان مركز أعدائه، وهي مركز تجاري يربط بين تجارة الشمال وتجارة الجنوب [2].

استمرت المدينة في التطور والعمران حتى كان عام 160هـ عندما آنس الإباضية من أنفسهم قوة، ووجدوا أنهم يملكون كل دوافع إعلان إمامة الظهور مثل العدد والقوة والمكان الحصين، فنظروا إلى من يتولى هذا الأمر فلم يجدوا أبرز من عبد الرحمان لسابقته ودينه وعلمه فبايعوه بالإمامة سنة 160هـ/777م[3]، وفي ذلك يقول ابن الصغير: (...فأجمعوا رأيهم على ذلك ثم نهضوا إليه بأجمعهم وقالوا: ياعبد الرحمان رضيك الإمام في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا ...)[4]

وكان اختيار الإمام على هذه الأسس تجربة جديرة بالتفكير والتقدير خصوصا أن عبد الرحمان بن رستم اختير فعلا اختيارا حرا بعد أن أثبت جدارته، فقد كان الرجل عند حسن الظن فسار على سنن العدالة التي ينتظرها الناس منهم [5]، وهكذا تأسست في قلب المغرب الأوسط أولى الدول المستقلة بالمغرب الأوسط يحكمها أئمة إباضيون يتتابعون في الحكم عليها حتى سنة 296هـ [انظر الملحق 01].

وتولى بعد عبد الرحمان بن رستم ابنه عبد الوهاب (160-171هـ) الذي لم يكن من الغريب أن يستفيد من سمعة أبيه الطيبة، وأن يفوز على منافسيه ويتولى الإمامة، فقويت إمامة تيهرت[6]،حتى قال ابن الصغير: (...ودان له مالم يدن لغيره واجتمع له من الجيوش والحفدة مالم يجتمع لأحد من قبله ...وبلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان)[7]، وعرف عهده ظهور جماعة فرقة النكارية[8]،إضافة إلى التمرد الذي قام به ابن السمح [9]شرقي الدولة الرستمية[10] ،ثم خلفه ابنه أفلح بن عبد الوهاب

---

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص319 .

[2] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص118 ؛فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص195 .

[3] ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص(92-93) .

[4] ابن الصغير، المرجع السابق، ص(30-31) .

[5] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص326 .

[6] عبد الحميد زغلول، المرجع السابق، ص-(213-2016) .

[7] ابن الصغير، المصدر السابق، ص45 .

[8] **النكارية** :هم أتباع يزيد بن فندين ابو قدامة النكاري، الذين أنكرو إمامة عبد الوهاب وثاروا ضده، ابن الصغير، المصدر السابق، هامش رقم 2، ص43 .

[9] **السمح بن عبد الأعلى ابي الخطاب بن السمح المعافري (ت204هـ):** هو أحد أبناء حملة العلم، عينه الإمام عبد الوهاب وزيرا وقاضيا له بجبل نفوسة كما عينه واليا على حيز طرابلس بعد أن افتكها من سيطرة الآغالبة، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص218.

[10] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص117.

(208-258هـ)، وقد (عمّر في إمارته ما لم يعمر أحد ممن كان قبله فأقام خمسين عاما أميرا ...وشمخ في ملكه وابتنى القصور ...وعمرت معه الدنيا ...وأتته الوفود من كل الأمصار)[1].

بعد ذلك وقع نزاع طويل على الإمامة، فقد تقاتل المطالبون بها، إذ اقتحم أبو بكر بن أفلح[2] الإمامة اقتحاما، فأحدث بذلك شرخا لم يرأب بعد ذلك قط، رغم ما بذله أخوه أبو اليقضان[3] من جهد، فإن أبا حاتم يوسف (281-294هـ) [4] اقتحم الإمامة بعد وفاة أبيه وتجاهل كل قواعد اختيار الإمام، وعمّت الفوضى ، فأرسل أهل البلد إلى ابن عمه يعقوب بن أفلح وكان نازلا بمنازل زواغة فبايعوه، ودخلت الإمامة في فترة فوضى واضطراب وآل الأمر في النهاية إلى آخر الرستميين وهو اليقضان بن أبي اليقضان، [5] وكان البيت الرستمي قد فسدت حاله [6]، وتغلبت الفتن عليه ودخلت الدولة الرستمية في منعرج الخطر والسقوط وزاد ظهور الخطر الشيعي على مسرح الأحداث من تهديد وجودها، والذي زحف وصولا لحدود الدولة بقيادة أبو عبد الله الشيعي [7]الذي قاد الدولة الفاطمية بعد ذلك، وبذلك وبهذا ينتهي وجود الدولة الرستمية سنة 296هـ/909م[8].

أما عن حدود الدولة الرستمية، فقد امتد نفوذها مع الأيام والسنوات على حساب النفوذ العباسي في المغرب الأدنى وأسست لها عواصم إقليمة على طول مساحتها، تراقب من خلالها دولتها المترامية الأطراف وتحمي حدودها من تحرشات الدولة الأغلبية من الجهة الشرقية والدولة الإدريسية العلوية من الجهة الغربية [9]، أما الحدود الشرقية فقد وصلت إلى خليج سرت شرق مدينة طرابلس وصار أهل هذه القبيلة لا يقبلون الأوامر إلا من إمام

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص61.

[2] **ابو بكر بن أفلح (258-261هـ)** : رابع الأئمة الرستميين، بايعته نفوسة ولم يرضه بعض أهل المدينة، كان ميالا للراحة ومولعا بالأدب ...وقعت في عهده فتنة بن عرفة ...، مبارك الميلي، ج2، ص72 .

[3] **أبو اليقضان محمد بن أفلح (261-281هـ) :** خامس الأئمة الرستميين، حج أيام والده وقبض عليه العباسيون ثم سرحه المتوكل وعاد الى تيهرت واكتسب خبرة بشؤون الملك، بويع بالامامة وزحف الى تيهرت ثم دخلها وعفى عن الثوار واحيا رسوم الدولة...، مبارك الميلي، المرجع نفسه، ص72 .

[4] **أبا حاتم يوسف (281-294هـ)** : من أعلام الدولة الرستمية اشتهر بذاكرته القوية وغزارة علمه ...له اسهام في الحكم والسياسة تولى الامامة الرستمية ودام فيها اربع سنوات في ظروف صعبة جدا ...اعتزل السياسة وانحاز في زواغة ...بعد هجوم العبيدين شهد سقوط الدولة، فنجى بأسرته الى سدراتة بورجلان، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص473.

[5] **اليقضان بن محمد ابي اليقضان بن افلح بن عبد الوهاب (294-294هـ) :** آخر حكام الدولة الرستمية، عاش فترة الانحراف عن المبادئ السامية التي كانت في عهد الأئمة الأوائل، قضى عامين في خوف وقلق، قتله أبو عبد الله الشيعي سنة 296 هـ...، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص(478-479) .

[6] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص-(330-352) .

[7] **ابو عبد الله الشيعي :** من دهاة الرجال الخبير بالجدل والحيل، قام بالدعوة العبيدية، وحج وصحب قوما من كتامة وربطهم وتزهد ...فاستجاب له خلق من البربر، حارب أمير المغرب وهزمه، ولما تسلم عبد الله الملك قتله سنة 298هـ، شمس الدين بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت673هـ)، سير اعلام النبلاء، اعتناء حسان بن منان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004، ج14، ص(58-59) .

[8] عيسى الحريري، المرجع السابق، ص185 ؛عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص24 ؛مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص87 .

[9] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص22 .

تيهرت [1]، وبلغ نفوذها في الجنوب الى صحراء فزان [2]وورجلان، [3] غير أن المذهب الروحي للدولة الرستيمة تخطّى هذه الحدود السياسية [4].

ونستدل على امتداد النفوذ الرستمي إلى هذه المناطق وغيرها من خلال تعيين القضاة على الشكل الموجود في [الملحق رقم 02].

ومما سبق يمكن أن نخلص إلى القول أن المغرب الأوسط قد شهد خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي تحوّلات عميقة، كان أبرزها توحد القبائل البدوية و إقامة كيان سياسي منظم يضمن الأمن والإستقرار، ويتيح إدارة شؤون الإقليم في ظل الدولة الرستمية التي كانت أول تجربة سياسية قائمة على أسس دينية وفقهية واضحة، اتخذت من مدينة تاهرت عاصمة لها. وقد مكّن هذا الإطار السياسي من تنظيم القبائل تحت سلطة مركزية موحّدة، ليس فقط في حدود المغرب الأوسط، بل امتد تأثيره إلى مناطق أوسع، مما عزّز من تماسك الدولة وقد انعكس هذا التوحّد السياسي بشكل مباشر على العمارة والعمران، حيث شهدت المنطقة طفرة في بناء المدن، والأسواق، والمساجد، والمنشآت الإدارية . فصار العمران رمزًا للاستقرار السياسي، ودليلًا على التحوّل من حياة البداوة والتنقل إلى حياة التحضّر والاستقرار. كما تجلّت في هذه العمارة خصائص محلية متأثرة بالبيئة الاجتماعية والثقافية، في موازاة هذا التطور، كان من الضروري وضع منظومة تشريعية وقانونية تضبط العلاقات بين الأفراد والجماعات، وتؤسس لسلطة شرعية تنظم شؤون الدولة. وقد تم اعتماد المذهب الإباضي بوصفه المرجعية الفقهية والسياسية الرسمية، حيث أسهم فقهاؤه في بلورة قوانين وأنظمة تستجيب لحاجات المجتمع، وترتكز على مبادئ العدالة والمساواة، مما عزّز مكانة الدولة الرستمية وهيبتها وعليه، يمكن القول إن قيام الدولة الرستمية شكّل منعطفًا تاريخيًا في مسار المغرب الأوسط، إذ جمع بين قوة العصبية القبلية، والتنظيم السياسي للدولة، والأساس التشريعي للمذهب الإباضي، وهو ما أسهم في إرساء مرحلة جديدة من الاستقرار السياسي والعمراني والقانوني في المنطقة ، السؤال الذي يطرح نفسه ماهي أهم المصادر القانونية والقضائية الأساسية التي اعتمدت في تسيير شؤون الحكم والمجتمع في هذه الفترة ؟.

[1] عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص59 .

[2] **فزان** :بين طرابلس وقابس فيها قُتل يحي بن اسحاق المريوقي، كان دخل افريقيا من مصر في أخريات المائة السادسة، فمَلك طرابلس وقابس، وبَعُدَ صيته وفض الجموع ...، الحميري، المصدر السابق، ص440 .

[3] **ورجلان** :بناها النوميديون في صحراء نوميديا الهاصور من الآجر النيئ ...ودور جميلة وحولها نخيل كثير، يوجد بضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى، الوزان، المصدر السابق، ص136 .

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص23.

الفصل الأول

مصادر التاريخ القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي

- القرآن الكريم
- السنة النبوية
- المصادر الفقهية الإباضية
- المصادر التاريخية الإباضية
- المصادر الفقهية المالكية
- المصادر التاريخية المالكية

الفصل الأول:مصادر التاريخ القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي

لقد اهتم الإسلام أيما اهتمام بالقضاء فكان رسول الله ﷺ الأسوة نبيا ورسولا حاكما بما أنزل الله ، وقاضيا فيما يرفع إليه من خصومات أثناء حياته، واضعا أسس التقاضي لمن يأتي بعده وفق المبادئ

والأسس التي بينها كتاب الله وسنة نبيه،[1]وفي بلاد المغرب الأوسط ظل القضاء يعتمد على هذين المصدرين الأوليين للتشريع القضائي، إضافة إلى ما قرره الخلفاء الراشدون وصحابة رسول الله ﷺ من أحكام واقضيه اجتهدوا فيها رأيهم ونالت الإجماع، ثم ما كان من العلماء والفقهاء بعد ذلك من اجتهادات [2]،

- القرآن الكريم

لما كان القضاء أكثر مجالات الحياة احتياجا للعدل، بل هو ركنه الركين وأساسه المتين، جاء الأمر به مكررا في غير ما آية وبصيغ مختلفة قصد التنبيه على خطورته في الحياة وتأكيد وجوبه على القضاء فيما أسند إليهم من الحكم في الخصومات،[3]قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) النساء 58، ويقول أيضا: **(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) المائدة 42.**

إلا أن إقامة العدل في الأحكام ليس بالأمر اليسير، فقد تعتريه عوائق وتعطله أسباب، لذا جاء تحذير القرآن من اتباع الهوى فعدّه أعظم الذنوب والكبائر، فإن إستلاءه على النفوس وغلبته على صاحبه تضعف الدين وتوهن اليقين[4]، قال تعالى : **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)ص26.**

[1] عبد الجبار حسين ظاهر القحطاني،المرجع السابق، ص 31.

[2] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96-296 هـ /715-909م)، تقديم : فاروق عمر فوزي، ط2 ،جزء2، جمعية التراث، الجزائر، 1427 هـ /2006م ،ص 424 .

[3] عبد الجبار حسين ظاهر القحطاني، المرجع السابق، ص 32

[4]عبد الجبار حسين ظاهر القحطاني، المرجع نفسه، ص26

كما جاء القرآن محذرا من الخروج عن العدل إلى الجور لأي سبب كان وذلك في قوله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة8.**

ولما يقتصر أمره سبحانه وتعالى على التزام العدل في الأحكام والأعمال فحسب، بل أمر بالعدل حتى في الأقوال،[1] قال تعالى: **(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) الأنعام 152.**

وجاءت بعض الآيات لتجيب عن قضايا وتساؤلات وقررت أحكاما ووضعت عقوبات، ونزلت آيات أخرى لتمنع الاحتكام لغير الإسلام منعا قاطعا، فاعتبر القرآن كل حكم غير حكم الله ورسوله ﷺ حكم طاغوات، يحرم الاقتراب منه، يقول الله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) سورة النساء الاية 60،** وجاء من الأمر القاطع بأن نفى الإيمان عن كل إنسان لا يحكم الله ورسوله ﷺ في أي خلاف لا يرضي كل الرضى بما صدر عن القرآن والسنة[2] حيث قال جل شأنه في ذلك : **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) سورة النساءالاية65**

فهذه النصوص جامعة لكل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام كالشهادة والقضاء والتعديل والتجريح والمشاورة والصلح بين الناس، وإذا كان العدل يهدف إلى هذا بأوسع معانيه فإن القضاء وسيلته وأداته، فبالعدل قامت الأرض ودامت الدول، وكان أهم ما ينشأ عنه سعادة الأمة ودوام بقائها،[3] فإن العدل أصل العمران والظلم مؤذن بخرابه[4].

و يندرج علم التفسير ضمن علوم القران الكريم وبه يفهم ، إذ يتناول شرح معاني القران الكريم وبيان دلالاته وأحكامه مستعينا بما يلزم من أدوات اللغة والعلوم الشرعية ، وكان للإباضية تفسيرهم للقران الكريم و الجامع لهذه التفاسير تفسير كتاب تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري .

[1] هدى العماد ، المرجع السابق ،ص 45.
[2] أمحمد علي امحمد التائب المشاي،المرجع السابق ،ص21.
[3] محمود الشربيني، القضاء في الاسلام، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1999م، ص 90.
[4] ابن خلدون، العبر ،المصدر السابق ، ص 273 .

كتاب تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري:

هو هود بن محكم الهواري من قبيلة هوارة البربرية، والده القاضي محكم الهواري أيام إمامة أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ)،ولادته في العقد الثاني من القرن الثالث، عالم حافظ تفقّه في مجالس العلم والمناظرة، تمتع بمكانة علمية عالية بين قبيلته والقبائل المجاورة فعدّ من علماء الإباضية، لذا كان مقصدا للطلاب [1] ، تفسير كتاب الله العزيز من أولى التفاسير وأقدمها في بلاد المغرب عامة والأوسط خاصة، وهو أحد التفاسير النادرة تمثل معتقدات الإباضية، تم جمعه وتأليفه في القرن الثالث هجري،اعتمد على التفسير بالمأثور وهو منهج أصيل في التفسير، تعرض لآيات الأحكام بالشرح والتفسير المطنبين[2] ، مثل هذه التفاسير شكّلت أهم المصادر التي اعتمد عليها القضاة في استخراج الأحكام للقضايا المعروضة عليهم والفصل فيها.

- السنة النبوية

ولأنّ النبي ﷺ مأمور بإقامة العدل بين الناس جميعا والفصل في منازعاتهم، فقد وضع دستور القضاء والتقاضي ليوضح ما يسلكه القاضي وما يجب أن يلتزم به في مهامه وقد ثبت قضاءه ﷺ بقوله وفعله،أما قوله: روي عن عمر بن العاص رضي الله عنه [3]أنه سمع النبي ﷺ يقول : ((**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر**)) [4]

وعن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هَلكته في الحق وآخر أتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس**))[5]

ثبت أن النبي ﷺ بعث إلى اليمن عليا فقال :((**علمهم الشرائع واقض بينهم**))،

---

[1] هود بن محكم الهواري (ق 3هـ)،تفسير كتاب الله العزيز،تح:بالحاج بن سعيد شريفي ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ،1990،ص13 ؛ أبو زكرياء ،المصدر السابق ،ص359؛ الدرجيني ،المصدر السابق ،ج2،ص345.

[2] هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ص14.

[3] **عمر بن العاص** :داهية قريش ورجل العلم ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء ، بصير بالحروب ،هاجر الى الرسول صلى الله عليه وسلم مسلما سنة 8هـ ن له عدة أحاديث ،ولاّه النبي على حنين ،ذات السلاسل ...الذهبي ،المصدر السابق ، ج3،ص55

[4] رواه مسلم،صحيح مسلم،تح :محمد فؤاد عبد الباقي ،ط1،دارإحياء التراث العربي ،بيروت،ج 6 ،ص 1342 /رواه ابو داوود، سنن ابو داوود، كتاب الاقضية، باب في القاضي يخطئ، دار الكتب العلمية،بيروت، 1389 هـ/1966 ،ص 268 ./سلامة محمد الهرفي البلوي، القضاء في الدولة الاسلامية تاريخه ونظمه، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الامنية، الرياض، 1415هـ،ص44

[5] رواه البخاري،صحيح البخاري،ط3، كتاب العلم،باب الاغتباط في العلم ،دار ابن كثير، دمشق، 1407هـ/1987م، ج 1،ص 24

قال لا علم لي بالقضاء، فدفع على صدره فقال: ((اللهم اهده القضاء))[1]

ما ورد أن النبي ﷺ بعث معاذ،[2] إلى اليمن قال: ((**كيف تقضي؟ قال: بكتاب الله،**

قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنَّة رسول الله، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي وفَّق رسول رسول الله))[3]

قوله ﷺ: ((**من جُعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين**))[4]وصفه بالمشقة، فكأن من تولاَّه قد حمل على مشقة كمشقة الذبح فهو تبعة ثقيلة وأمانة عظيمة إذ هو نيابة عن الله تعالى وخلافة لرسوله، كما يقول ﷺ: ((**يدعى بالقاضي العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط**[5]))

فالقاضي قد يتأذّى بالقضاء ويتعب فيه إذا ضل علمه أو تنكر الطريق السوي أو أغفل الاستعانة بالله، ولكن مع الصبر والجد والاستعانة بالقرآن والسنة يزول[6].

روى الإمام علي ﷺ قال: قال بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضيا فقلت: يارسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي في القضاء؟ فقال : ((**إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء**[7])) قال: فمازلت قاضيا أو ماشككت في قضاء بعد.

أما عن قضاء الخلفاء الراشدين، فقد كان أبو بكر الصديق ﷺ إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه مايقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن وعلم من رسول الله ﷺ في الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول أبو بكر ﷺ: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا،

---

[1] رواه ابن حنبل ،المسند،رقم الحديث 63 ،ط2 ،ج1، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1414هـ/1994م ،ص 92

[2] **معاذ بن جبل** بن عمر بن أوس بن عائذ ...أسلم وله ثمانية عشرة سنة ، شهد العقبة وبدرا ،ممن قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم :خذوا القرآن من أربعة...ومعاذ بن جبل ...،الذهبي ،المصدر السابق ،ج1 ،ص44 .

[3] سنن ابي داوود ،كتاب الاقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء ،رقم الحديث 3592 ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1389هـ/1969م، ح 4، ص 18 .

[4] رواه الترميذي، سنن الترميذي، تح :محمد فؤاد عبد الباقي ،كتاب الاحكام، باب ماجاء عن رسول الله في القاضي، رقم الحديث 1247، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 118 .

[5] رواه ابن حنبل، المصدر السابق، رقم الحديث 85، ج6 .

[6] محمد عبد الفتاح مصطفى، كتاب العدل في الدولة الاسلامية :دراسة حول العدل ومكانته في الاسلام، ط1، مصر، 1444هـ/2023م، ص 118.

[7] سنن أبي داوود، المصدر السابق،ج2، ص 270 .

فإن أعياه أن يجد في سنة من رسول الله صلى لله عليه وسلم جمع رؤؤس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به وهذا منتهى النظر والعدل في القضاء[1].

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى آحذ الحق منه إن شاء الله [2].

وكتب عمر ﷺ يعلم القضاة: إذا جاءك بشيء في كتاب الله فاقض به ولا يلفتنّك عنه الرجال، فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقض بها، فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة من رسول الله ﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمرين شئت: إن شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم، وإن شئت أن تؤخّر فتأخر، ولا أرى التأخير إلا خير لك[3].

وقال الصحابي عمير بن سعد[4]ﷺ: ما يزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلا بالسيف وضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل.[5]

وهكذا جعل القضاء تنفيذا للشرع الإلهي وتطبيقا لأحكامه، من هنا سهر القضاة في الدولة الرستمية على إقامة العدل وتحقيق القسط بين رعايا الدولة لما في ذلك من حفظ للحقوق والأموال والأنفس، كما حرصوا على تطبيق حدود الله لما في ذلك من صون للقيم والأخلاق خصوصا بعد التطور السريع الذي عرفه المجتمع الرستمي، وما أفرزه من علاقات اجتماعية مستجدة[6] ناتجة عن التحاق ودخول عناصر بشرية جديدة، بعد تبني الإمام الأول للدولة الرستمية سياسة التعايش المذهبي، كما أفرزت مصالح اقتصادية متضاربة ومتنافسة ومتنازعة، هذا ماحتم تدخل القضاء لفض النزاع وكبح الفساد والجور[7]، كل هذه كانت أهداف القضاء الرستمي استقاها من مصادر التشريع : القرآن والسنة إلى جانب اجتهادات علمائه وفقهائه وقضاته من خلال المؤلفات التاريخية.

---

[1] محمد عبد الفتاح مصطفى، المرجع السابق، ص 119 .
[2] محمد الزحيلي، المرجع السابق ، ص16
[3] محمد عبد الفتاح مصطفى، المرجع السابق، ص 119 .

[4] **عمير بن سعد** :...العبد الصالح الأمير ،صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كان ممن شهد فتح دمشق مع أبي عبيدة ،ولي دمشق وحمص لعمر ...، الذهبي ،المصدر السابق ، ج2،ص558.
[5] محمد الزحيلي، المرجع السابق، ص 16 .
[6] إبراهيم بحاز : المرجع السابق ،ج1،ص 160 .
[7] نوال برة ، الغرامات والعقوبات في المغرب الأوسط (2-10هـ/8-16م) ،دراسة سياسية واجتماعية واقتصادية ،أطروحة دكتوراه ،اشراف :علي عشي ،قسم التاريخ والآثار ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة باتنة ،2022-2023،ص200 .

-المصادر الفقهية الإباضية

من المصادر الفقهية التي تناولت القضاء في الدولة الرستمية نجد:

1- المدونة لأبي غانم بشر بن غانم الخرساني:

يعد صاحب المدونة من الائمة في الفقه الإباضي فهو الإمام الحافظ الفقيه أبو غانم بشر بن غانم الخرساني، قدم البصرة لتلقي العلم على يد الأئمة الإباضية خصوصا الإمام أبي عبيدة التميمي ولم يدرك من حياته إلا قليلا فأخذ أكثر علمه عن تلاميذه، خرج من المشرق إلى المغرب ليفد على الإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمان (171-208هـ) ومعه مدونته الشهيرة، يرجح تاريخ وفاته سنة 205هـ، و تعد المدونة أهم مصادر الفقه عند الإباضية فهي المتن الأساسي لفقههم، قدم فيها عرضا جليا لتطور الحركة الفقهية عند الإباضية في المرحلة الزمنية المبكرة التي شهدت اهتمام علمائهم بتأسيس المذهب وترسيخ جذوره، كان لها أثر في منهج فقهاء الإباضية ويشار إليها في المصادر الإباضية باسم الغانمية و الغانمي[1]، ويتفق كل من الوسياني والدرجيني والشماخي في أن الكتاب كان في إثنى عشر جزءا.وقد استفاد منه قضاة الدولة الرستمية في استخراج الأحكام الفقهية وتطبيقها على مختلف القضايا التي عالجوها.

2 - مسائل نفوسة للإمام:عبد الوهاب

يعد عبد الوهاب ابن رستم ثاني الأئمةالرستميين (171-208هـ) كنّاه ابن عذارى بأبي الوارث[2] وهو الوحيد بهذه الكنية،تلقى العلم بتيهرت عن أبيه عبد الرحمان وغيره من حملة العلم، عالم متضلع من أكبر علماء زمانه، تصدر للتدريس وتخرج على يديه الكثير من الخلف، بلغت الدولة الرستمية في أيامه الازدهار والرخاء والسلطان القاهر،[3] توفي في سنة 208هـ[4].

يعتبر كتاب نوازل نفوسة من الكتب القليلة التي بقيت بعد نكبة تيهرت الرستمية من طرف الشيعي كتبه الإمام عبد الوهاب ابن رستم أثناء تواجده بجبل نفوسة مجيبا فيه عن أسئلة أهل المنطقة والنوازل التي حلت بهم،يشتمل عما يقارب ثلاثمائة مسألة،حوى علما وفقها وتاريخا وسيرة وعبرة[5].

---

[1] الدرجيني،المصدر السابق ،ج 2،ص 323 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ،ص 100.

[2]ابن عذارى المراكشي (كان حيا عام 712هـ)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح :ج .س.كولان، إليفيبروفنصال،دار الثقافة ،بيروت ،1948م،ج1،ص278 .

[3]ابن الصغير، المصدر السابق ،ص43.

[4]الدرجيني، المصدر السابق ،ج1،ص83؛ الشماخي،المصدر السابق ،ص162 ؛ محمد بن موسى بابا عمي، المرجع السابق ،ج2،ص283.

[5]ابراهيم بحاز ،المرجع السابق ،ج1،ص71.

وقد أفادنا كثيرا في معرفة أشهر القضايا التي عالجها القضاء الرستمي والإحكام التي أصدرها ،ويمكن اعتباره أحد نتائج القضاء الرستمي وأحد ثمرات الفقه والقضاء عند الإباضية .

3 – جوابات لأفلح بن عبد الوهاب:

يعد الإمام أفلح بن عبد الوهاب من أعلام الدولة الرستمية حكم مابين (208-258هـ) ، و هو ثالث الأئمة الرستميين تلقّى العلم بتيهرت عن أبيه وجدّه وغيرهما من المشايخ، كان عالما فقيها شاعرا، انفرد بأراء في علم الكلام، رجل علم وسياسة وقيادة،بلغت الدولة الرستمية في عهده من الرقي مبلغا توفيّ سنة 258هـ /871م[1] ، له مدونة عبارة عن مخطوط من المصادر الفقهية الإباضية، يعد من أنفس الكتب وأهمها، ومن أوائل الكتب المؤلفة في تاريخ الفقه الاسلامي، سلم من الحرق والضياع، يعرض الأحداث والنوازل خلال القرن الثاني هجري، وهو عبارة عن مجموعة أسئلة أرسلت إلى الإمام أفلح، وهو بدوره يجيب بأسلوب موجز، يخلو الكتاب من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلا في سؤال أو سؤالين[2].تعرّض لذكر بعض القضايا التي طرحت على القاضي الرستمي من بيوع ومعاملات اقتصادية وقضايا تتعلق بالديات والجنايات والميراث والوصايا ...الخ.

4 – كتاب فيه بدء الاسلام وشرائع الدين لابن سلام:

لواب ابن سلام التوزري المزاتي من علماء قبيلة مزاتا بجبل نفوسة، نشأ بين أحضان عائلة علم وحكم،فعمه وجده اشتركوا في موقعة مغمداس[3] مع الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى سنة 142هـ /759م، أُوتي العلم منذ الصغر وأخذه عن أبي كبة من أهل تنكيص وأبي صالح النفوسي،[4]كان شيخا إماما عالما بالأصول والفروع توفي سنة 273هـ/887م[5].

يعد هذا الكتاب من المؤلفات الإباضية في بلاد المغرب وهو مصدر تاريخي،فقد كان مؤلفه معاصرا للدولة الرستمية، لذلك كانت أغلب رواياته شفوية، أهم ما يميزه عن المصادر الأخرى أنه عدَّد علماء وفقهاء الإباضية الذين يقيمون في إفريقيا،كما تحدّث عن علاقة إباضية المغرب بإباضية المشرق،قام بنشر وتحقيق المخطوط ر-ق

---

[1] ابو زكرياء ،المصدر السابق ،ج1،ص-(110-112) .

[2] عمر بن الحاج فخار ،من جوابات الامام أفلح بن عبد الوهاب ،رسالة ماجيستير ،اشراف :الشيخ عاشور كسكاس ،معهد العلوم الشرعية ،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،سلطنة عمان ،2005/2004 ،ص10 .

[3] **موقعة مغمداس** :المعركة التي وقعت في مغمداس شرقي طرابلس سنة 142هـ /759م كانت انتصار للإباضية بقيادة أبي الخطاب ضد الجيش العباسي بقيادة الأحوض العباسي ،مجموعة من الباحثين ، المرجع السابق ،ج2،ص959 .

[4] **صالح بن نوح بن زكراء التندميرتي النفوسي (أبو عفيف)** ت874هـ،من علماء جبل نفوسة أخذ العلم عن أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد الشماخي ،من تلامذته أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي صاحب كتاب السير ،كان شيخا عالما محافظا على الدين والسير ،محمد بن موسى باب عمي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص(234-235).

[5] الشماخي ،المصدر السابق ،ج1، ص 49 ؛ مسعود مزهودي ،جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال الى بلاد المغرب:21-442 هـ/642-153م، مؤسسة تاوالات الثقافية ،ليبيا، 2003، ص9 ،المهدي بوعبدلي ،لمحات من الدولة الرستمية،مجلة الآصالة، ع ،41، ص 201 .

شقارنز وسالم بن يعقوب بتغيير اسمه الى:الإسلام تاريخه من وجهة نظر إباضية[1].

وقد شتمل الكتاب على الشروط التي يجب توافرها في إمام المسلمين والقاضي والمفتي، والشروط التي تفرض عزل ومقاومة كل قاض جائر.

5- كتاب أصول الدينونة الصافيةلعمروس النفوسي:

هو أبو حفص عمروس ابن فتح النفوسي ولد مع نهاية القرني الثاني الهجري، من قبيلة نفوسة الليبية، نشأ في أسرة علمية، تلقى علوم الدين واللغة،اشتغل بالقضاء أيام الوالي أبو منصور إلياس[2]في عهد الإمام أبي اليقضان (261-294هـ) شارك في معركة مانو [3]الشهيرة سنة 284 هـ وأسر فيها ثم استشهد، له العديد من المؤلفات منها الموجود ومنها المفقود، وله فتاوى مبثوثة في الأصول والفروع وفق الفقه الإباضي[4] ،في الكتاب تسليط الضوء على بعض القضايا التي كانت محل خلاف واعتناء في أوساط الإباضية خصوصا سكان جبل نفوسة من أحكام المعاملات المالية (الغنائم والمواريث والزكاة) كذلك اللصوصية والاعتداءات على الأموال والأنفس، وكلها وفق الدليل الشرعي والعقلي،[5]وهو خلاصة تجربة النفوسي في القضاء ، يعد مرجعا هاما لكل من تولى خطة القضاء في الدولة الرستمية ومعينا للقاضي في إصدار أحكامه العقابية والتأديبية من خلال ماحواه من فتاوى في مختلف المجالات.

6- كتاب أجوبة علماء فزان لجناو بن فتى وآخر:

هو جناو بن فتى المديوني المعروف بأبو الحسن من قبيلة مديونة البربرية،من علماء الإباضية في القرن 3هـ/9م أخذ العلم عن حملة العلم إلى المغرب، وربما عن أبي عبيدة مسلم مباشرة، ومن تلامذته عبد القاهر بن خلف[6] ويوسف وريون بن الحسن، هو من أهل التحقيق، عالم وفقيه وشيخ من شيوخ فزان

---

[1]مسعود مزهودي، المرجع السابق ،ص11 .

[2]**أبو منصور إلياس ابن منصور النفوسي:**(حي في 261) من مشايخ جبل نفوسة المشهورين بالعلم والعمل ،عينّه الإمام أبو اليقضان محمد بن أفلح على ولاية نفوسة ،فكان من عظماء رجال الدولة ،وتروي المصادر أنه كان قائدا فذا لم يهزم له جيش طول حياته ،محمد بن موسى باب عمي ،المرجع السابق ، ج2 ،ص63 .

[3]**موقعة مانو** :معركة نسبت إلى قصر قديم بين طرابلس وفاس وفيه معركة بين الآغالبة والإباضية سنة 283هـ /886م ، وانهزم الإباضية على يد أبي العباس إبراهيم الأغلبي ...،فكان الحدث سببا في انهيار الإمامة الرستمية ،ويحمل المصطلح في التاريخ الإباضي معنى حزينا ومأساويا ، مجموعة من الباحثين ،المرجع السابق ، ج2،ص945.

[4]أبي حفص عمروس بن فتح النفوسي (ت 283هـ)،كتاب أصول الدينونة الصافية ،تح :حاج أحمد بن حمو كروم ،مر:مصطفى بن محمد شريفي وأخر، ط1،وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ،199 م، ص-(40،43،50-55) ؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 99، الشماخي، المصدر السابق ،ص590؛ الدرجيني ،المصدر السابق ،ص320.

[5]أبي حفص عمروس بن فتح النفوسي ،المصدر السابق ،ص 56 .

[6]**عبد القهار بن خلف الفزاني (ق3هـ):**عالم ورع فزاني من سكان سبها ،عاصر الإمام الرستمي عبد الوهاب ،وهو معتمد أهل الجبل الجبل في الفتوى ،له أجوبة علمية غزيرة وله مراسلات فقهية مع أستاذه جناو ،محمد موسى بابا عمي ،المرجع السابق ،ج2،ص257.

يحتوي المخطوط على مجموعتين من الأجوبة الفقهية كتبها علماء فزان،إلى جانب رسائل إخوانية وعظية، يحتوي على أربعة عشر سؤالا من مسائل الأحكام وأجوبة مستفيظة للوقوف على الحكم الصحيح والثابت التابع لأحكام الله والتزام أمره واقتداء سنة نبيه [1].

بما أن الكتاب فقهي بالدرجة الأولى، فقد أورد العديد من القضايا المتعلقة بالقضاء ممارسة وأحكام وإشارات وقد أفادنا في المبحث المتعلق بتوابع القضاء وأشهر القضايا التي عالجها القضاء الرستمي.

– المصادر التاريخية الإباضية

من المصادر التاريخية التي تناولت القضاء في الدولة الرستمية نجد:

1– كتاب أخبار الأئمة الرستمين لابن الصغير:

صاحب الكتاب لا نعرف له اسم سوى ما عرفه هو،شهرته ابن الصغير أما أصله فالأرجح أنه مغربي من مواليد تيهرت، يصعب تحديد تاريخ ولادته بدقة،وكل ما نعرفه عنه أنه لحق بعض أيام أبي اليقضان ابن أفلح (261هـ-281هـ) [2]،الذي يقول عنه:(وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه)[3]،فمرجح أنه ولد مابين 265-270هـ نظرا لأن أبا اليقضان توفي عام 281 هـ، يبدو أنه لم يكن من مواليد تيهرت إنما استوطنها ابتداء من أواخر دولة أبي اليقضان،[4]أخذ العلم عن أبي عبيدة الأعرج[5] الإباضي المذهب، يدل على ابن الصغير لا يشعر بالحاجر المذهبي وهو يخبرنا أنه أخذ عن بعض الرستميين كتاب مسائل نفوسة الجبل للإمام عبد الوهاب فدرسه ووقف عليه ،[6]هذا ما جعله عالما مرموقا في تيهرت،ودخل في عدة مناظرات مع علماء الإباضية[7].

تعددت عناوين كتابه مثل:أخبار الأئمة الرستميين، تاريخ ابن الصغير، سيرة ابن الصغير، يبدو أنه ألفّ كتابه سنة 290هـ، ويبدو أن الكتاب وصل إلينا ناقصا، إذ يسكت فجأة في إمامة أبي حاتم يوسف الذي امتد إلى سنة 294هـ، ولم يشر إطلاقا إلى اليقضان بن أبي اليقضان [8].

---

[1] علي يحي معمر ،المرجع السابق ، ج2،ص53؛إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الاسلامي ،المرجع السابق ،ص72.

[2] وداد القاضي ،إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ،مقال بمجلة الآصالة ،عين 45 ،مطبعة البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،1395هـ،ص38.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق،ص92.

[4] وداد القاضي،المرجع السابق،ص38 .

[5] **أبو عبيدة الأعرج(ق3هـ)** : كان شيخا عالما بالفقه والكلام واللغة والوثائق ...من تلامذته ابن الصغير ،كان الكل مقرا له بالفضل ،حتى أن إباضية سجلماسة يبعثون إليه زكاتهم ،هذا ماجعل الامام أبو اليقضان يجلسه بجانبه تقديرا وإكراما ،محمد موسى بابا عمي ،المرجع السابق،ج2،ص285.

[6] إبراهيم بحاز ،الدولة الرستمية ، المرجع السابق ،ص61.

[7] وداد القاضي ،المرجع السابق ،ص39 .

[8] وداد القاضي ،نفسه ،ص41.

تاريخ ابن الصغير، كتاب قيّم فيه إشارات رغم اختصارها تدل على أمور عديدة من الفتن التي تعاقبت على تيهرت،وأشار إلى جوانب ثقافية هامة،كذكر العلماء والقضاة إضافة إلى إشارات تخص الجانب الاقتصادي[1].

يكاد الكتاب يخلو من التواريخ وذكر الأخبار خارج تيهرت،وكأنه خصصه لتاريخ تيهرت فقط،[2]ولم يكن ابن الصغير مجرد رواية للتاريخ فقط، إنما مؤرّخا حقا،[3]يصفه الدكتور مؤنس أنه أحسن مؤرخي الإباضية وأولاهم بالثقة[4].

بما أنه أرّخ للدولة الرستمية بتيهرت من 160هـ الى 294هـ، فقد أفادنا في جميع مراحل الفصل التمهيدي و الثاني خصوصا ما تعلق بمعرفة النظم المعتمدة في هذه الفترة من قضاء وحسبة وشرطة وذكر لأهم القضاة وكيفية توليتهم.

2-كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا الورجلاني:

صاحب الكتاب هو أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني، ولد في أورجلان بالجزائر تلقّى العلم في واد أريغ [5]عند [5]عند الشيخ أبي الربيع سليمان بن خلف المزاتي[6] روى عنه أبو عمر وعثمان بن خليفة السّوفي وكانت له حلقة علم، قال عنه الدرجيني:كان من المقتفين لآثار الأوائل ...بأدلة ذات إقناع وحجج تملؤ القلوب والأسماع تغني عند المحاضرة ماتغني المشارقة عند القراع فكان مراد الفاريّن على تباعد الدارين[7] ،كان الورجلاني يشتغل الزراعة، وكان كريما سخيا مع أهل ورجلان، له أجوبة وفتاوى ورسائل في الفقه لكن يبدو أنها فقدت، حدد تاريخ وفاته سنة 471هـ /178م[8].

للمصدر عدة تسميات منها:كتاب السيرة وأخبار الأئمة، سير الأئمة وأخبارهم، وأيّا كان فهو كتاب يهتم بدراسة سير المشايخ من أهل المغرب وبخاصة تاريخ الرستميين ومن تولّى مسؤولية الإباضي بعدهم، ألفّه في القرن الخامس هجري /الحادي عشر ميلادي اعتمادا على الرواية الشفوية، ويعرفنا كذلك بعدد من مراكز إشعاع المذهب الإباضي وماكان يجري فيها من نشاط في الجدال والاجتهاد والإفتاء والقضاء،كما ترجم لعدد من أئمة المذهب

---

[1]إبراهيم بحاز ،الدولة الرستمية ، المرجع السابق ،ص(39- 40).

[2] ابن الصغير ،المصدر السابق ،ص18.

[3] وداد القاصي ،المرجع السابق ،ص56 .

[4] حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص350.

[5]**واد أريغ** :تقرت مدينة قديمة بناها النموديون على جبل في شكل نتوء يمر في سفحها يقطعها جسر متحرك ،وهي مدينة مسوّرة بسور من الطوب والين، وتقع على نحو 500ميل جنوب البحر المتوسط...،الوزان ،المصدر السابق ،ص84.

[6]**أبي الربيع سليمان بن خلف الوسيلاني المزاتي (ت471)**: هو الأصولي البارع والفقيه النبيه تعددت نسبته المزاتي ،النفطي،القابسي ،النفطي،القابسي لكثرة أسفاره بين مولط الإباضية ...ممن جازت عليهم سلسلة نسب الدين ...له عدة تصانيف وروايات فقهية واخبارية ،محمد موسى بابا عمي ،المرجع السابق ، ج2،ص(215-216).

[7]الدرجيني،المصدر السابق، ج1، ص352؛الشماخي،المصدر السابق،ج2،ص-(92-93).

[8]ابي زكرياء ، المصدر السابق ،ص19 .

ومشايخه ،إلى جانب حديثه عن الأحداث السياسية زمن العبيديين[1]،ساهم الورجلاني بهذا العمل في إنقاذ جزء هام من التراث بتدوينه وإخراجه من المروي إلى المسكوب وحفظه من الاندثار والنسيان[2].

تتبع الورجلاني منهج الطبقات فتتبع سير العلماء ومشايخ الدين، ومنهم القضاة في حلقات العلم وميادين السياسة والحرب وملاحقته لهم في سفرهم وإقامتهم،هذا ما ساعدنا في الكشف عن جوانب من القضاء في العهد الرستمي خصوصا ماتعلق بالقضايا المعالجة والمطروحة،كما أفادنا في تحديد فترات بعض ولاية بعض العلماء للقضاء في الأقاليم التابعة للرستميين.

3-كتاب سيرة مشايخ نفوسة للبغطوري:

هو مقرين بن مُحَّد اليفزني البغطوري نسبة إلى قرية بغطورة بالحرابة، إحدى قرى جبل نفوسة،ينحدر من أسرة عريقة في العلم، عرف من بينها العديد من الرجالات الذين ذاع صيتهم واستحقوا أن يذكرفي كتب التراجم، عاش حتى نهاية القرن السادس هجري /الثاني عشر ميلادي،تتلمذ على يد شيوخ منهم:أبا مُحَّد عبد الله بن مُحَّد والشيخ أبا يحي توفيق الجناوي من الفقهاء العلماء [3].

إن مخطوط البغطوري ورد بعدّة تسميات أوردها الشماخي منها: سيرة مشايخ نفوسة – سيرة أهل نفوسة– سير مشايخ الجبل – سير أشياخ نفوسة – السير – سيرة نفوسة[4]،وهو سرد لعلماء ورجالات المذهب الإباضي في المغرب الإسلامي، مع استعراض لعلماء المذهب في المشرق في محاولة لوصل سلسلة الشيوخ وهو ما يعرف بنسبة الدين للتأكيد على أخذ الدين من مصادره الشفوية المباشرة، حيث تبدأ السلسلة بالتابعي جابر بن زيد ﷺ عن ابن العباس ﷺ عن النبي ﷺ ،وقد أتم كتابته سنة 599هـ،فسلّط الكثير من الأضواء على تلك الحقبة من عدة نواح: الإجتماعية والفقهية والإقتصادية والسياسية، اعتمد علي العديد من المؤرخين:الشماخي، الوسياني، والدرجيني[5] .

---

[1] **العبيديين :** نسبة الى الدولة العبيدية وهي الدولة الفاطيمة التي تأسست بالدعاية الدينية والحنكة الساسية اللتين كانتا لأبي عبد الله الشيعي وبالقيمة الحربية التي كانت لكتامة ...،مبارك الميلي ،المرجع السابق ،ج2،ص134.

[2]أبي زكرياء،المصدر السابق، ص19 ؛علي معمر ،المرجع السابق ،211؛ محمد بن موسى بابا عمي، المرجع السابق ،ص984؛ المهدي بو عبدلي ،المرجع السابق ،ص196 .

[3]مقرين بن محمد البغطوري (حيا سنة 599هـ) ،سيرة مشايخ نفوسة، تح توفيق عياد الشقروني ،مؤسسة توالت الثقافية ،2009،ص-2009،ص-(14-16)،وينظر الشماخي ،المصدر السابق ،ص –(244-245)، إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الإسلامي ،المرجع السابق ،ص26، المهدي بو عبدلي ،المرجع السابق ،ص 202 .

[4]الدرجيني ،المصدر السابق، ج2،ص-(271-275)،

[5]مقرين بن محمد البغطوري، المصدر السابق، ص –(16-18) .

الكتاب غني بالمعلومات التي تخص القضايا التي عالجها القضاء الرستمي خصوصا القضايا الاجتماعية والفقهية، فأفادنا في عرض أشهر القضايا التي بتّ فيها القاضي حكمه.

4-كتاب سير المشايخ للوسياني

من أبرز أعلام الإباضية، ولد بقصطيلية من بلاد الجريد [1]بتونس، من بني وسين فرع من قبيلة زناتة ونشأ بأجلو من واد أريغ، قضى فترة بورجلان، تلقّى تعليمه على يد أستاذه أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد العاصمي[2] (ت 528هـ-1133م)، صنفه الدرجيني في الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ) قال عنه: ((الحافظ للسير والآثار المروي عنه التواريخ والأخبار،لم تفته سيرة لأهل الدعوة في كل الأمصار[3]))، يعد من أشهر علماء ومؤرخي القرن السادس هجري /الثاني عشر ميلادي.

[1] **بلاد الجريد :** القسم الثاني من إفريقيا سماها اللاتنيون نوميديا ،ويعوه العرب بلاد الجريد ،حيث تنبت النخيل يبتدئ شرقا بالواحات وغربا إلى توت على ساحل المحيط ،ويصل شمالا إلى سفح الأطلس الجنوبي ثم يتاخم رمال الصحراء ،الوزان ،المصدر السابق ، ص(28-29) .

[2] **أبي محمد عبد الله بن محمد اللواتي العاصمي (ت528هـ):** عالم جليل من المشايخ الأخيار ببلاد أريغ حافظ للأخبار ،عليه المعمدة في رواية تاريخ الإباضية ...حاضر الشواهد له مراسلات للعلماء في الفتاوي والأحكام ، وله رسالة قيمة في المواعظ والنصح ،محمد موسى بابا عمي ،المرجع السابق ،ج2،ص 272-273.

[3]الدرجيني :المصدر السابق،ج2،ص292-295.

وضع الوسياني كتابه المعنون سير المشايخ والمشهور بسير الوسياني تمييزا له عن سير أبي زكرياء وسير الشماخي، وهو من أنواع كتب الطبقات ويمكن وضعه أيضا ضمن كتب الفقه الإباضي لأن من أهدافه التعريف بقواعد الفقه الإباضي منذ قيام الدولة الرستمية حتى أيامه[1].

يحتوي على التعريف بالرجال والمشايخ والمواضع الجغرافية بجبل نفوسة كما احتوى على معلومات لدراسة المجتمع الإباضي الى جانب تطرقه للتاريخ السياسي وبعض الصراعات المحلية وأظهر العلاقة بين إباضية تيهرت وغيرهم من إباضية المشرق[2] .

بما أن الوسياني ذكر روايات وفتاوى المشايخ بالأقاليم الإباضية التابعة للدولة الرستمية فقد زودنا بمعلومات غنية عن القضايا التي عالجها القضاة الرستميون وما أصدروه من أحكام في شأنها وبالتالي رصد لنا معالم القضاء عن الرستميين محل بحثنا.

5-كتاب طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني

صاحب الكتاب هو أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف المزاتي الدرجيني (أبو العباس)أشهر علماء درجين[3] لبلاد الجريد جنوب تونس،واحد من العلماء الخمسة في سلسلة نسبه، تلقى تعليمه الأول بدرجين ثم رحل إلى أورجلان سنة 616 هـ/1219م،وأخذ العلم عن الشيخ أبي سهل يحي بن إبراهيم بن سليمان لأعوام ثم عاد إلى موطنه درجين،وهو فقيه وكان إماما قدوة له قصائد كثيرة وشعر فائق إضافة الى أنه مؤرخ من المحققين، كانت وفاته سنة 670هـ /1271م.[4]

بصدور كتاب طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني، وهو أول إباضي يكتب في تراجم العلماء متّبعا منهج الطبقات وهو منهج جديد،حيث أنه صنّف العلماء في طبقات تمتد كل واحدة في أمد زمنيا يقدر بخمسين سنة،[5]بدءا بالطبقة الأولى التي تبدأ من السنة الأولى للهجرة إلى السنة 50هحتّى انتهى إلى الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ/1155-1203م)والكتاب يقع في جزئين،لغته أدبية رفيعة عزَّ لها نظير في الكتابات المغاربية [6].

---

[1] عوض الشرقاوي ،التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث هجريين ،مؤسسة توالت الثقافية ،ليبيا ،2011،ص8،وينظر إبراهيم بحاز ،المصدر السابق ،ص62 .

[2] عوض الشرقاي ،المرجع السابق ،ص9؛ محمد بن موسى بابا عمي وأخرون ،المرجع السابق ،ج2،ص204 .

[3] **درجين :** وهي آخر البلاد الجريدية ،مدينة قديمة بقرب نفطة وهي كبيرة ،الحميري ، المصدر السابق ،ص236.

[4] الدرجيني ،المصدر السابق ،ص15 ؛الشماخي ،المصدر السابق ،ج2،ص118

[5] الدرجيني ،المصدر السابق ،ص24 ؛ علي معمر ،المرجع السابق ،ص-(132-133) ؛ محمد بن موسى بابا عمي ،المرجع السابق ،ج2،ص295 .

[6] إبراهيم بحاز ،الدولة الرستمية ، المرجع السابق،ص-(28-29) ؛ محمد بن موسى بابا عمي ،المرجع السابق ،ج2،ص295 ؛علي معمر ،المرجع السابق ،ص133 .

تطرق الدريجيني لترجمة سير الأئمة الرستميين والعديد من الشخصيات الإباضية التي تولت القضاء فأفادنا في ضبط الأعلام وتدقيق المعلومات والتراجم وتحديد فترات تولي القضاة لخطة القضاء في الآقاليم الرستمية مما أثرى بحثنا بمعلومات مصدرية .

6- كتاب السير للشماخي:

صاحب الكتاب هو أبي العباس بدر الدين أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كان مولده في الأربعينيات من القرن التاسع هجري، التحق برحاب العلم والعلماء منذ الصغر في نفوسة، ثم تنقل إلى تونس للقاء أشياخا أجلاء منهم أبو عفيف صالح بن نوح التندميري،[1] والشيخ البيدموري،[2]وأبوزكريا يحي بن عامل ونقل عن فقيه إباضي عماني وهو مُحَمَّد بن عبد الله السمائلي حتى بلغ منزلة كبيرة في العلم وأخذ منه بحظ وافر، توفي في سنة 928هـ /1522م.[3]

الشماخي صاحب التآليف العديدة في الفقه والعقيدة منها كتاب إعراب القرآن، شرح عقيدة التوحيد،شرح على متن الديانات،مشكل إعراب الدعائم، أما أشهر تآليفه في التاريخ كتابه:سير المشايخ أو كتاب السير، الذي يمثل خاتمة تآلف السير عند الإباضية إذ ساعده تأخره الزمني على أن يستوعب كل ما استجمع في كتب من كان قبله، فجاء كتابه موسوعة شاملة جامعة لأعلام الإباضية ومناقبهم درج على أتباع منهج الطبقات، تفوق على طبقات الدرجيني بعدد كبير من التراجم استقاها من مؤلفات الإباضية وغيرهم، أمثال ابن الصغير، الرقيق القيرواني، المسعودي[4] ...

يمثل هذا المصدر ساعدنا في إجلاء الغموض عن جوانب عديدة من القضاء في العهد الرستمي خصوصا ماتعلق بمواضيع الأقضية والتنظيم القضائي في هذا العهد .

- المصادر الفقهية المالكية:

من المصادر الفقهية المالكية التي أرخت للقضاء الرستمي نجد :

1- المدونة الكبرى للقاضي سحنون :القاضي سحنون ين سعيد بن حبيب أبو سعيد التنوخي الإفريقي القيرواني (**ت240هـ**)، أصله من حمص الشام،القاضي الإمام، رأس الفقهاء، الزاهد، الصادع بالحق،كان رجلا

[1] **أبو عفيف صالح بن نوح التندميري النفوسي (ت874هـ)**:من علماء جبل نفوسة بليبيا أخذ العلم عن أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد الشماخي من تلامذته أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي صاحب كتاب السير ، كان شيخا عالما محافظا على الدين والسير ،محمد بن موسى بابا عمي ،المرجع السابق ، ج2،ص(234-235).

[2] **البيدموري حي(850هـ)**: عالم من جبل نفوسة تلقى العلم على يد العلامة أبو العباس أحمد الشماخي (ت928هـ) كان صاحب حلقة للتعليم في العلوم الشرعية والسير ،محمد موسى بابا عمي ،المرجع السابق ،ج2،ص101 .

[3] الشماخي ،المصدر السابق، ص25 ؛ علي معمر ،المرجع السابق، ص-(125-130) .

[4] الشماخي، المصدر السابق ، ص27 ؛ابراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الإسلامي ،المرجع السابق ص61؛ محمد بن موسى بابا عمي ،المرجع السابق ،ج2،ص227 .

نبيلا فاضلا، يروي تسعا وعشرين سماعا، قال عيسى ابن مسكين عنه:سحنون راهب هذه الأمة، وقال أبو العرب:كان سحنون ثقة، حافظا للعلم، اجتمعت في خلال قلّما اجتمعت في غيره كالصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والفقه البارع، تولى قضاء القيروان، توفي سنة **240هـ**.

تعد المدونة الكبرى، رواها عن الإمام عبد الرحمان بن القاسم العتقي عن إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ﷺ،[1]فكان سحنون يسأل ابن القاسم ويجيبه هذا عما سمعه عن الإمام مالك، فلا غرو أن تلك الأسئلة كانت من الواقع المعيش، إذ من المعروف أن الفقهاء يرفضون الإجابة عن أسئلة لم تقع حيث يقولون:دعها تقع، من أنفس الكتب والمصادر الفقهية المالكية لبلاد المغرب.[2]

وهي من المصادر المساعدة التي وجدنا فيها بعض المادة الخبرية عن مواضيع القضاء أو ما يعرف بالأقضية والأحكام، كما حوى الكتاب بعض النظريات القضائية التي تدخل في أدب القضاء.

– المصادر التاريخية المالكية:

ومن المؤلفات التاريخية المالكية التي وثقت خطة القضاء زمن الدولة الرستمية :

1– طبقات علماء إفريقية وتونس لأبو العرب:

صاحب الكتاب هو مُحَمَّد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم بن أبي العرب التميمي، كان جدّه من أمراء إفريقية، كانت ولادته سنة **250هـ**، تلقّى العلم على يد كبار المشايخ والعلماء، أتقن نسخ الكتب فقال عن نفسه أنه كتب ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب،[3] من مؤلفاته: عباد إفريقية، مسند حديث مالك، مناقب بني تميم ،كانت له مكانة علمية كبيرة وقدم راسخة في العلم،جمع بين التاريخ والحديث والفقه المالكي،تعرض لمحنة وابتلاء من طرف الفاطميين،توفي سنة **333هـ**[4].

هو من كتب التاريخ العام، له عدة أسماء، منها طبقات علماء إفريقية، طبقات أهل إفريقية، طبقات رجال إفريقية، طبقات القيروان و الإسم الصحيح هو: طبقات علماء إفريقية وذكر علماء أهل تونس، يقع في سبعة أجزاء صغيرة جمعت في مجلد واحد، يحوي نفائس من تراجم العلماء الأفارقة واعتمد عيه كثير ممن جاء بعده، كما ضم عدد كبيرا من الأخبار والأقوال والآثار الواردة عن علماء إفريقية،لذا نعتبره من المضان المهمة ،تظهر أهميته

[1] **عبد الله مالك بن أنس (93-179هـ) :**هو شيخ الإسلام ،حجة الأمة ، إمام دار الهجرة ،تأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة ،قصده طلبة العلم من الآفاق وازدحموا عليه ،إليه ينسب المذهب المالكي ،الذهبي ،المصدر السابق ،ج8،ص-(48-55) .

[2] إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الاسلامي ،المرجع السابق، ص69 .

[3] الذهبي ،المصدر السابق ،ج15،ص.19

[4] أبو العرب، المصدر السابق ،ص17 .

أكثر من خلال كثرة نقول العلماء عنه،وتعقباتهم عليه كالقاضي عياض، ابن حجر، ابن خلكان ،يعد الكتاب حديقة ذات بهجة لكثرة الفوائد والفتاوى والتفاسير والقصص والمناظرات[1] ...

بما أن الكتاب قدم تراجم لعلماء إفريقة، إلى جانب فتاوى أهلها فقد أفادنا في الترجمة لبعض من تولّى القضاء في الدولة الرستمية،إلى جانب أنه وثق أحكامهم استنادا على فتاوى أهل إفريقية.

2- طبقات علماء إفريقية للخشني:

هو الحافظ أبو عبد الله مُحَّد ابن حارث بن أسد الخشني، نسبة إلى خشين قرية في إفريقية، تلقى تعليمه على يد خيرة علماء القيروان المالكية،رحل إلى الأندلس بعمر اثنى عشرة سنة، واستقر بقرطبة[2] وتتلمذ على يد شيوخها وفقهائها، حظي بمكانة علمية مرموقة،وصف بأنه أهل الحفظ والفهم والفقه والعلم والأخبار وأسماء الرجال، تقلب الخشني في عدة مناصب وألّف من الكتب في الفتيا والرواية والنسب ومذهب مالك، ويبدو أنه سليل بيت علم أبا عن جد، تشير المصادر أن وفاته بقرطبة عام 361 هـ/972 م [3].

كتاب طبقات علماء إفريقية،خصص لعلماء مدينة القيروان،تضمن تراجم لعلماء إفريقية من مختلف المذاهب: المالكية، الأحناف، الشافعية، والعلماء الذين انتحلوا الجدل والمناظرات قي القيروان، وفي آخر الكتاب ذكر لقضاة القيروان منذ عهد الولاة، إلى بداية عهد الفاطميين، ولخص ترجمة كل قاض من القضاة الذين تولوا خطة القضاء بالقيروان، واهتم كثيرا بعلماء السنة الذين تشرقوا،أي تشيعوا ومالوا للفاطميين، طمعا في المناصب وخصوصا منصب الوثائق الذي ذكره كثيرا.[4]

قدم لنا شروحات عن شروط تولي القضاء، والأسباب الموجبة للعزل،والأحكام الصادرة عن بعض القضاة، وكان لوجه الشبه الكبير بين القضاة المالكية والإباضية فيما تعلق بالأحكام، فقد أفادنا قي المبحث الخاص عن أشهر قضايا القضاء الرستمي .

3- كتاب رياض النفوس للمالكي:

هو عبد الله بن مُحَّد بن عبد الله المالكي مؤرخ أهل القيروان، فقيه ومحدث، أخذ عن علماء بلده القيروان، واختص بصحبة أبي الحصن القابسي، رحل إلى المشرق عام **406هـ**،ولقب بالشافعي، لكنّ شيخه دعاه بالمالكي، فعرف

---

[1] مازن إبراهيم أحمد المغيربي، منهج أبي العرب القيرواني (ت 333هـ) في كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية ،ع10،السعودية، 1443هـ ،ص-(400-410)

[2] **قرطبة :**قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها ،وآثارهم بها ظاهرة وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر ...،الحميري ،المصدر السابق ،ص458 .

[3] الذهبي ،المصدر السابق، ج16 ،ص166 .

[4] محمد بن الحارث الخشني (ت 361هـ)،كتاب طبقات علماء افريقية،دار الكتاب البناني،بيروت، ص-(233-241)؛إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي،المرجع السابق،ص51.

واشتهر به، برز اهتمامه بالتاريخ والتأليف من خلال تأليفه كتابين في المناقب: مناقب أبي الحسن القابسي، مناقب محرز بن خلف، له تلاميذ كثر نقلوا عليه، أقام بالقيروان إلى حين خرابها من طرف الأعراب، توفي عام **494هـ**[1] .

أجمعت المصادر أن اسمه رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهّادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، اعتمد في تأليفه على عدة مصادر تاريخية، حديثية، وفقهية، قسم المالكي كتابه إلى طبقات كل طبقة مخصصة للأعلام المشهورين، مثلا يتناول في الطبقة الخامسة تلاميذ سحنون بن سعيد التنوخي قاضي القيروان المالكي أكبر شخصية دينية،كما قدم تراجم وافية لمن كان بها من الفقهاء والعباد والقضاة[2] .

ترجمته لفقهاء وعلما وقضاة القيروان جعل الكتاب من مصادر بحثنا واعتمدنا عليه لما كان لقضاة الإباضية من صلات لنظرائهم في الأقاليم المجاورة، فربما وجد توافقا في الأحكام القضائية نتيجة التقارب المذهبي وعدم وجود اختلافات فقهية.

4- كتاب تاريخ الإفريقية والمغرب للرقيق القيرواني:

هو إبراهيم ابن القاسم أبو اسحاق المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق، مولده كان بعد انتقال الفاطميين إلى مصر، أي بعد سنة **362هـ**،[3] تولى الكتابة في الدولة الصنهاجية،[4] له عدة مؤلفات،منها:نظم السلوك في مسامرة الملوك، كتاب فيه أخبار زيري، الإختصار البارع للتاريخ الجامع كانت وفاته سنة **415هـ**.

تاريخ إفريقية والمغرب له عدة تسميات منها المغرب عن أخبار المغرب، أخبار إفريقية، تاريخ القيروان، وتاريخ إفريقية، وهو من أوفى وأشمل ما كتب عن بلاد إفريقية والمغرب وما تعاقب فيها من الأحداث منذ مطلع تاريخها الإسلامي إلى القرن الخامس الهجري، اعتمد فيه سرد الأخبار وتدوين الحوادث، استخدام المصادر القديمة، أورد أخبار عن القضاة وتراجمهم بعد أن يستوفي الحديث عن الوالي أو الأمير، لم يصلنا الكتاب كاملا فقد ضاع جزء منه.[5] .

---

[1] أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت494هـ)،رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم،تح بشير البكوش، مر: محمد لعروسي المطوي، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1994،ج1،ص- (11-20).

[2] المالكي، المصدر السابق، ص-(20-35).

[3] خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) ،كتاب الأعلام للزركلي، دار الملايين، بيروت ،ج1،ص57.

[4] **الدولة الصنهاجية(973-1146م) :** أسسها زيري بن مناد الصنهاجي كأمير تابع للخلافة الفاطمية ...اتخذت عدة عواصم منها أشير ، القيروان ، المهدية ، عرفت اتساعا خاصة في عهد بلكين بن زيري ...انتهت على يد الموحدين ...،حسين مؤنس ،المرجع الشابق ، ج1 ،ص-(610-615) .

[5] الرقيق القيرواني ،المصدر السابق ،ص 14.

الكتاب مفيد جدا لتاريخ القضاء بإفريقية خصوصا وأنه يهتم بالأصول الاجتماعية والقبلية للقضاة، فقد أفادنا في فهم كيفية تقسيم المناصب في الدولة الرستمية وفق المذهب الإباضي، ومنه فهمنا الشروط الواجب توفرها في القاضي لدى الدولة الرستمية .

5- ترتيب المدارك للقاضي عياض: الكتاب للقاضي عياض بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن مُحَّد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي، مولده سنة 476هـ بسبتة من قواعد المخرب، وصف بالذكاء والفهم والحفظ والحرص على طلب العلم، حفظ القرآن الكريم بقرآته السبع، وقرأ اللغة العربية متنها وآدابها، وأصول الدين والفقه وعلم الكلام والجدل والمناظرة، وأخذ علم الحذيث متنه وغريبه، هذا ما جعل شيوخه يقدرونه، تولى منصب القضاء وكان صلبا في الحق لا تأخذه لومة لائم، له تآليف كثيرة، منها: الأجوبة المحيرة عن المسائل المخيرة، أجوبة القرطبيين ...الخ وفاته كانت في 544هـ[1].

اسمه الكامل: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وهو موسوعة من عدة أجزاء، تناول ترجمة المذهب المالكي ورواة الموطأ وعلمائه، يعتمد القاضي عياض في كتابه على نظام الطبقات دون اعتبار للترتيب الألفبائي والتزم التوزيع الجغرافي لمن يترجم لهم، وخصص لكل بلد عنوانا يدرج تحته علماءه من المالكية [2].

نظرا للتقارب المذهبي بين المالكية والإباضية خصوصا فيما تعلق بمبدأ العدل، فالكتاب يوضح تولي القضاة المالكية خطة القضاء بالقيروان وحرصهم على إحلال العدل، والعدل إحدى قيم المذهب الإباضي، ولا شك أن القاضي الرستمي حرص على الأمر نفسه،وهو ما تناولناه في أشهر القضايا التي عالجها القضاء الرستمي.

6- معالم الإيمان للدباغ:

الكتاب لأبي زيد عبد الحمان بن مُحَّد الأنصاري الأسدي المعروف بالدباغ، ولد سنة **605هـ**، مؤرخ باحث فقيه من أهل القيروان، له نظم جيد وكثير، منه كتاب الأحاديث الأربعين في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين، و مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب، جلاء الأفكار في مناقب الأنصار، أجمعت المصادر على أن وفاته كانت سنة **696هـ**[3].

اسم معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، وكان اسمه قبلها: معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان، حرره عالمان جليلان: ألف أولا الدباغ، ثم أتى الإمام أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي فأضاف إليه زيادات تكميلية تتعلق بموضوعه، كانت لها قيمتها وأهميتها، يتضمن الكتاب إفادات عامة كثيرة عن

[1] عياض القاضي عياض بن موسى (ت 544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمد بن باويت الطنجي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1983، ص 9 .

[2] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص –(54-55) .

[3] الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 329.

رجال الفتح والصحابة والتابعين ونخبة من القادة موفقين،كما يتضمن تراجم لعلماء إفريقية والقيروان، ويأتي بالترجمة مفصلة بأسلوب سلس سهل.[1]

قدم فائدة في تراجم بعض القضاة مفصلة بدقة،إلى جانب بعض الشروحات والتعليقات المهمة في جوانب مختلفة من البحث.

يمكن القول في نهاية هذا الفصل ان المصادر القضائية تعد من أهم الركائز التي يعتمد عليها الباحث في دراسة العمران البشري بالمغرب الأوسط ، إذ تمثل مرجعًا أساسيًا لفهم القوانين والنظم التي حكمت العمران وأسهمت في تشكيل المدن والمجتمعات. فهي لا تقتصر على عرض الوقائع القانونية فحسب، بل تقدم صورة متكاملة عن التفاعلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أثرت في الدولة وبنية المجتمع.

فالمصادر القضائية الفقهية منها او التاريخية تكشف عن القوانين والضوابط الشرعية التي نظمت المجتمع و ضبطت الحقوق و الواجبات ، وقد لعب الفقهاء والقضاة، لا سيما في ظل الدولة الرستمية التي اعتمدت المذهب الإباضي، دورًا بارزًا في وضع هذه الأحكام، بما يضمن العدالة ومنع التعدي ، كما تبرز هذه المصادر دور القضاء في حماية النسيج الاجتماعي من التفكك ، حيث كان القضاة يفصلون في النزاعات مما يضمن الحفاظ على انسجام المجتمع وحيويته . ومن خلال ذلك، يتضح أن القضاء لم يكن مؤسسة لحل النزاعات فحسب، بل كان أداة تنظيمية أساسية تسهم في تحقيق الانسجام تطلعات المجتمع واحتياجاته .

كما تمثل المصادر القضائية وسيلة مهمة لفهم البنية الاجتماعية والسياسية للمغرب الأوسط، إذ تعكس طبيعة العلاقات بين السكان وضبطها وفق أحكام الشريعة الإسلامية على المذهب الإباضي.

وأخيرًا، تُثري المصادر القضائية الدراسة التاريخية والأثرية، حيث تساعد على تفسير الكثير من الأحداث وربطها بسياقها القانوني والإجتماعي، وتسد الثغرات التي قد تتركها المصادر فهي تقدم تفاصيل دقيقة عن الحياة اليومية، والعلاقات الإقتصادية، وأساليب الإدارة الحضرية، ما يجعلها أداة لا غنى عنها .

يتضح مما سبق أن المصادر القضائية ليست مجرد وثائق قانونية، بل هي سجل حضاري شامل يعكس عمق الحياة في المغرب الأوسط، ويساعد في فهم تطور المدن ودور القضاء في بناء مجتمع متوازن يجمع بين النظام والعدالة .

[1]إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص55 .

الفصل الثاني

ولاية القضاء بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي وأهميتها

- مجلس القضاء
- استقلالية القضاء
- شخصيات مارست القضاء
- أثر القضاء في العمران البشري

ولاية القضاء بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي وأهميتها

إن الحديث عن ولاية القضاء في المغرب الأوسط، لابد من العودة إلى جذوره الأولى لسياسة الدولة الإسلامية في تسيير الحملات الجهادية لنشر الدين الاسلامي، فقد كان القضاة مرافقين للجيش الفاتح،[1] ولا شك أن القادة الفاتحيين لبلاد المغرب قد تولوا المهمتين: مهمة قيادة الجيش ومهمة القضاء، وهو بمثابة قضاء الجند أو قضاء العسكر، ومن هؤلاء القادة نذكر: أبو المهاجر دينار (55-62هـ/675-681م)[2]، حسان بن النعمان الغساني (74-85هـ/693-704م)[3]، موسى بن نصير (86-96هـ/705-714م) [4]دون أن نغفل أن القراء والفقهاء قد شكّلوا جزءا من جند الفتح وتولوا بدورهم حل بعض المسائل والمنازعات[5]، تلك كانت البذور الأولى للقضاء ببلاد المغرب عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة.

وبتولّي عبد الرحمان بن رستم الإمامة (160-171هـ)وهو بذلك أول إمام للدولة الرستمية بتيهرت، وهكذا تميز الرستميون بأن كان إمامهم الأول قاضيا خلال فترة الولاة بالقيروان أيام دولة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافيري اليمني (140هـ/757م)،في إفريقيا والمغرب الأدنى،[6]

بولاية عبد الرحمان بن رستم وضعت النواة الأولى للقضاء في الدولة الرستمية، فكان الإمام والقاضي، ولما كثرت مشاغله وتشعّبت مهامه خصوصا بتطور المجتمع الرستمي تطلّب الأمر تعيين قاض مستقل وقضاة في الأقاليم،ليستمر إزدهار القضاء في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان (171-208هـ)،حيث ضبط النظام القضائي بشروط قيدها في رسالة بعث بها إلى أهل نفوسة وطرابلس .[7][أنظر الملحق رقم: 03]

---

[1] خميسي بو لعراس ،القضاء العسكري بالغرب الإسلامي في العصر والوسيط:قراءة في قاضي الجند ،مجلة دراسات وأبحاث ،المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجلفة ،مج12 ، ع3/3جويلية2020،ص585 .

[2] **أبو المهاجر دينار (55-62هـ/675-681م):**ولاه عمر المغرب فأقام بها سنين ،وأسلم عامة البربر في ولايته ، وكان حسن السيرة ...افتتح بعض المناطق وقاتل زعيم قبيلة أوربة :كسيلة ،توفي سنة 132هـ ،الذهبي ،المصدر السابق ،ج5 ،ص213 .

[3] **حسان بن النعمان الغساني (74-85هـ/693-704م) :**من ملوك العرب ،ولي المغرب فهذبه وعمره ،كان بطلا شجاعا مجاهدا لينا ،وجهه معاوية ،فصالح البربر ورتب عليهم الخراج ...له غزوات مشهودة بعد قتل الكاهنة ،الذهبي ،نفسه ،ج4،ص140.

[4] **موسى بن نصير (86-96هـ/705-741م):**...افتتح بلاد المغرب وغنم منها أموالا لا تعد ولا توصف ...كان ذا رأي وحزم وخبرة بالحرب ،أسلم أهل المغرب على يديه ،وبثّ فيهم الدين والقرآن ،توفي 99هـ ،إبن كثير، المصدر السابق ،ج12،ص623 .

[5] حسين مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص105.

[6] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص126.

[7] لواب بن سلام، المصدر السابق، ص96 .

هكذا أصبح القضاء في عهد الدولة الرستمية أكثر تنظيما وترتيبا فيما تعلق بمجلس القضاء (مكان التقاضي ومساعدو القاضي) أو ما تعلق بتوابعه من خطة المظالم، خطة الحسبة، الشرطة ،أو ما تعلق بأدواته من سجلات وكتب والقمطر ...الخ.

– مجلس القضاء:

أ– **مكان التقاضي:** لم تكن هناك بناية خاصة بالتقاضي في الأيام الأولى[1] ولم يرى القضاة أن يكون لهم مبنىً خاص وكانوا في الغالب يجلسون في مسجد المدينة (المسجد الجامع)، وقد كانت هذه بمقتضى السنة أقدم الطرق [2]، يقول موفق الحنبلي: (...وقد كان النبي ﷺ يجلس في مسجد مع حاجة الناس إليه... وروي عن عمر وعثمان وعلي أنهم كانوا يقضون في المسجد ...فالقضاء في المسجد من أمر الناس القديم [3]).فالقضاء يعدّ نوعاً من الأنواع التي تتخذ من المسجد مركزا لها منذ صدر الإسلام،[4] حيث يكون من الأجدر بالقاضي أن لا يخفي على أحد جلوسه ولا يوم حكمه.[5]

يقول ابن الصغير:(لما ولي عبد الرحمان بن رستم ماولي من أمور الناس شمّر ميزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف لا يخاف لومة لائم)[6]، واستمر القضاء في المسجد إلى عهد الإمام عبد الوهاب (171–208هـ) وابنه أفلح (208–258هـ) ليتحول إلى دار القضاء ،فقد ابتكر الإباضية في تيهرت دارا للقضاء[7] ،حيث يذكر ابن الصغير أنه لما جاء محكم الهواري من الأوراس في بداية عهد أفلح لتولي منصب القضاء (أنزله الشراة في الدار المعروفة بدار القضاء [8])، فهذه الدار كانت مقرا للقضاء منذ عهد أبيه عبد الوهاب لأنها معروفة ولم تبن خصيصا لمحكم الهواري.[9]

---

[1] موريس ديموبين،النظم الإسلامية ،تر:صالح الشماع وفيصل السامر ،ط3،مطبعة الزهراء ،بغداد ،1952م،ص206

[2] هوبكنز ج .ف.ب،النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى،تر:أمين توفيق الطيبي ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا – تونس،1980،ص217.

[3] موفق الدين الجاعلي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت-620هـ) ،المغني ، تح: أبومحمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامى المقدسي ،ط1،ج1،الكويت ،ص 179.

[4] احمد شلبي ،المرجع السابق ،ص246.

[5] أبو القاسم علي بن محمد بن احمد الرحبي السمناني (ت 499هـ)،روضة القضاة وطريق النجاة ، تح:صلاح الدين الناهي ،ط2،ج1،دار الفراقان ،عمان ، 1984م ، ص97 ؛الخشني :المصدر السابق ،ص300.

[6] ابن الصغير، المصدر السابق ،ص32 .

[7] إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الإسلامي ،المرجع السابق ،ج1،ص348.

[8] ابن الصغير،المصدر السابق ،ص59.

[9] عثمان الكعاك،موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي ،مكتبة العربي ،تونس،1344هـ،ص182.

كما عقد القضاة مجالسهم على عتبات منازلهم أو حتى في الشارع،كما تنقلوا إلى مكان الخصومة وحكموا في الحوانيت والأسواق دون حرج[1]، المهم القيام بدور القضاء دون اعتبار لمكانه لأن الأهم هو العدل حيثما كان.

ب- مساعدو القاضي:

في الأيام الأولى يبدو أن القاضي كان يتولّى مهمته منفردا دون تلقي مساعدة موظفين آخرين[2]، ومع اتساع أعمال أعمال القاضي وكثرة الوظائف الموكلة إليه جعلت القاضي مضطرا لاتّخاذ أعوان يؤدون وظائف من صلب عمله تخفيفا عنه وضبطا وترتيبا له ومنهم:

- الكاتب:

هو من يقوم بتوثيق وحفظ الحقوق، يحضر جلسات القاضي القضائية ويقوم بكتابة الدعوى وأقوال الخصوم والشهود والبيانات وكل ما يقع في مجلس القاضي بين الخصوم، لأن القاضي قد شق عليه أن يكتب بنفسه فاحتاج إلى كاتب يستعين به، ويجب أن تتوفر فيه شروط الأمانة، فهو كالمكتبة الخاصة للقاضي[3] ويبدو أن أن قضاة تيهرت اتخذوا كتّابا وأعوانا فقد وردت عبارة (صاحب سجلنا) عبّر عنها الإمام عبد الوهاب في كتابه مسائل نفوسة، وهذا يعني أن الإحكام كانت تسجل من طرف كاتب[4].

- الفقهاء المشاورون:

إذا احتاج القاضي الإستشارةَ بعث رجلا من أعوانه يستشير له فقيها من الفقهاء، نجد هذه الإستشارة عند القضاة الرستميين، فالقاضي الحاكم أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي لما عيّنه الإمام عبد الوهاب تحجج بضعفه فأشار إليه عبد الوهاب بقوله (إن كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء يصلاتن التوكيتي،[5] وإن كنت ضعيفا في المال فبيت مال المسلمين يغنيك[6]).

---

[1] هوبكتز،المرجع السابق ،ص 217، وينظر: موريس ديموبين ،مرجع سابق ،ص 206 ،إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الإسلامي ،المرجع السابق ،ص-(352-353) .

[2] هوبكتز،المرجع السابق،ص217.

[3] أحمد بن صالح البراك ،أحكام وآداب كاتب القاضي في الفقه الإسلامي ،مجلة العدل،ع41،السعودية،1430هـ،ص212 ؛محمود الشربيني ،المرجع السابق،ص169 ؛إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق ،ج1،ص353 .

[4] الكعاك، المرجع السابق،ص182 ؛إبراهيم بحاز، المرجع نفسه،ج1 ، ص158.

[5] **أبي زكرياء يصلاتن التوكيتي :**توكيت ولولوت قريتان من قرى جبل نفوسة ،نسب إليهما أبو زكريا يصلاتن ،أخذ العلم عن حملة العلم الخمسة ...كان مرجع أهل نفوسة في النوازل ،وكان المساعد الأيمن للوالي عبيدة عبد الحميد الجناوي ...،قال عنه أحد المشارقة :الجبل هو أبو زكرياء ،وأبو زكرياء هو الجبل ،محمد موسى بابا عمي ،المرجع السابق ،ج2،ص470.

[6] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص-(125-126)؛إبراهيم بحاز،القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق،ج1، ص360.

وقد ذكر الشماخي والدرجيني أن بعض الفقهاء كانوا يحضرون مجلس قضاة الرستميين، كحضور داود بن ياجرين وماطوس بن هارون اللذين جلسا مع القاضي عمروس بن فتح النافوسي في مجلس قضائه في جبل نفوسة فتبادلوا الرأي.[1]

- **الأمناء:**

استعان القضاة بالأمناء وجعلوهم على نوعين: أمناء على الودائع وأمناء البوادي، يختارهم القاضي ممن يثق فيهم، وقد ذكرت عبارة الأمناء عند الشماخي حينما أورد قصة ضرب والي نفوسة إلياس بن منصور لرجل، فسأله شيخ مار بالطريق:أجاءك فيه كتاب؟ فقال: نعم، فقال قولته المشهورة:بسواد في قرطاس تضرب الناس يا إلياس؟ فقال هذا الأخير: ماذا نفعل ياشيخ؟ قال:ترده إلى السجن وابعث الأمناء فإن صح ذلك عنه فانفذ وإلا فقاصصه من نفسك في ضربه، فبعثوا الأمناء فلم يصح عنه ذلك وتبين أن الفاعل غيره فأخرجه وقاصصه [2].

- **الخدم:**

من أعوان القاضي الذين نجد ذكرهم باستمرار في المصادر (خادم القاضي)، فالرستميون لما نصبوا محكم الهواري للقضاء وانزلوه في دار القضاء ...اشتروا له خادما صفراء،[3]فجرت العادة أن يتخذ القاضي الرستمي غلاما خادما يساعده في بعض شؤونه الإجتماعية والقضائية، كتوفير الماء للقاضي أو المتخاصمين أو الأخذ بيد الخصم وإقعاده في مكان معين من دار القضاء،وهؤلاء الخدم يرافقون القاضي في حلّه وترحاله،في مجلس قضائه وفي بيته وبالتالي هم أعوانه الثقاة الذين لا يعصون أوامره ولا يتأخرون عن تنفيذها[4].

ج- توابع القضاء:

عرف القضاء الرستمي خلال الفترة موضوع الدراسة (160-296هـ/777-999م) تطورات، وتزامن ذلك وظهور خطط أخرى كتوابع له ومنها:

[1]الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص-(322-323) ؛الشماخي، المصدر السابق، ص273 .
[2] الشماخي ،المصدر السابق ،ص273 ؛إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق ،ج1، ص –(369-370).
[3]ابن الصغير، المصدر السابق، ص53 ؛ إبراهيم بحاز،القضاء في المغرب الإسلامي ،المرجع السابق ،ج1،ص(371-372).
[4]عبد الكريم يوسف جودة ، المرجع السابق ،ص212 .

- **خطة المظالم:**

وهي قضاء استثنائي في الدولة الإسلامية ذا أهمية، ينحصر اختصاصها في النظر في دعاوى الناس المرفوعة إلى الإمام لترفيع الظلم عنهم، والذي حل بهم من موظفي الدولة وأجهزتها [1]، يعرفها ابن خلدون بأنها وظيفة ممتزجة بين سطوة السلطة ونصفة القضاء،[2]فالقضاء يحتاج علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي، وكأن صاحب المظالم يمضي ما عجز عنه القضاة ،وتسند لرجل جليل القدر كثير الورع وهي مهمة الشراة في الدولة الرستمية، حيث يقومون برقابة سير أحوال الإمام وأعوانه ومنهم القضاة ويتدخلون لإحقاق الحق وإثبات العدل كلما اقتضت الضرورة .[3]

ولحرص الأئمة الرستميين على رعيتهم وحبا في العدل وخوفا من الله قد يتسائلون عن عمّالهم وقضاتهم وشرطتهم وسيرتهم في رعيتهم رقابة لهم[4]، فالكعاك يقول عن الإمام أبي اليقضان (261-281هـ):كانت المظالم وهي المجلس الأعلى للقضاء يجلس لها الإمام لمراجعة القضايا المتظلّم فيها وسماع الشكوى حتى من القضاة أنفسهم[5]،يقول ابن الصغير عن أبي اليقضان:(كان يركب إلى أعلى المسجد في المدينة فيجلس فيه، فمن تكلم إليه من الناس بين العمال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا وأجرى الحق على من رضي وسخط على من عظم قدره أو صغر ولم تأخذه في الله لومة لائم[6]).

- **الحسبة:**

أما وظيفة المحتسب الذي يعرف بصاحب السوق أو المشرف على السوق فكان صاحبها يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن النكر ومرافقة الأسواق والمكاييل والموازين والمحافظة على السابلة وإزالة الأذى عن الطرق وتخفيف الأحمال على الدواب،[7] والملاحظ أن الحسبة عند الرستميين كانت مرتبطة بالإمام تولاها بنفسه في بداية الدولة،لكن في حدود منتصف القرن الثالث هجري مع فتنة ابن عرفة تنازل عنها الإمام أبو بكر بن أفلح (258-261هـ) لأخيه أبي اليقظان تولّاها هذا الأخير بنفسه، إذ يقول ابن الصغير:(فكان الناس على ما هم عليه إلى أن قدم أبو اليقظان من العراق ... بل يظهر القيام له والحسبة بين يديه)[8].

---

[1]الماوردي، المصدر السابق، ص-(94-95) .
[2]ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص186 .
[3]إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص79.
[4]خليفات عوض، النظم الاجتماعي والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا، شركة المطابع النموذجية، الأردن، 1982،ص-(112-113)
[5]عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص182 .
[6]ابن الصغير، المرجع السابق، ص73 .
[7]موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1971، ص94.
[8] ابن الصغير، المصدر السابق،ص63.

لقد ظهرت معالم الحسبة جلية بصورة واضحة أيام إمامة أبي اليقظان ابن أفلح (261-281هـ) فأول شيء نظر فيه استصلح القاضي أبا عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي الشيخ، ثم ولّى لبيت ماله رجلا من نفوسة، ثم عين مجموعة من النفوسيين من أصحاب النفوذ في تيهرت وكلفهم بالحسبة،[1] يقول اين الصغير: (أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإن رأوا قصّابا ينفخ في شاة عاقبوه ...وإن رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه[2]).

وممن تولى الحسبة في جبل نفوسة، نجد أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي وأبو يوسف وجدليش[3]كان أمر سوق جادو بالجبل إليه فكان يأذن لمن يشاء بالبيع فيه ويمنع عنه من هو في حالة شبهة[4].

- **الشرطة:**

ولإتمام مهامه على أكمل وجه تشارك القضاء في عهد الرستميين مع الشرطة، حيث كان من الضروري اللجوء الى جهة تستعمل القوة في بعض الحالات، وقد برز وجود الشرطة منذ بداية الدولة، أي أيام عبد الرحمان بن رستم (160-171هـ/777-787م) من خلال قول ابن الصغير عن إمامة عبد الرحمان: (...وأصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب[5])، وظلت الشرطة موجودة طيلة عهد الرستميين تحت رئاسة صاحب الشرطة التابع لسلطة القاضي[6].

ففي عهد الإمام أبي اليقظان مُحَمَّد بن أفلح (261-281هـ) استعان القاضي مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي الشيخ برجال الشرطة في قضية اختطاف فتاة من طرف الأمير زكرياء ولد الإمام أبي اليقظان، إذ كان يريد أن يطبق عليه الحد لكن لم تتوفر لديه البيّنة فاستقال من منصبه[7].

---

[1] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص396.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 88.

[3] **أبو يوسف وجدليش الإمللي (ق 6هـ) :**ممن فاز بالتقى وخاض في بحر العلوم ...أخذ عنه جمع ...وهو من جازت عليه سلسلة نسب الدين التي تعتبر نوعا خاصا من الإجازة لدى علماء الإباضية في المغرب ،محمد بن موسى بابا عمي ،المرجع السابق ، ج2،ص444 .

[4] الشماخي ،المصدر السابق،ص-(333-334) ؛إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص396.

[5] ابن الصغير ،المصدر السابق،ص40 ؛جودت عبد الكريم المرجع السابق، ص170 .

[6] عبد الحميد زغلول ،المرجع السابق ،ج2، ص 308 .

[7] ابن الصغير، المصدر السابق،ص79 ؛جودت عبد الكريم ،المرجع السابق، ص54.

لقد برز عمل الشرطة في الدولة الرستمية كخطة تابعة للقضاء بعد الفتنة التي وقعت بين أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان (281-294هـ) وعمه يعقوب بن أفلح،فقد عم الفساد المجتمعَ ، فلما دخل أبي حاتم تيهرت جمع الشراة[1] واستشارهم فيمن يوليه الشرطة فأشاروا بإبراهيم بن مسكين[2] وزكار.[3]

د – أدوات القاضي:

إن مؤسسة القضاء بالمغرب الأوسط خلال الفترة موضوع بحثنا رغم عظيم شأنها وخطورة مهمتها إلا أنها بسيطة في أدواتها تتلخص في:

– السجلات والكتب والديوان:

ولها تسميات لمسمى واحد وهو تلك الأوراق أو ذلك الدفتر الذي تكتب فيه القضايا من أسماء الخصوم والشهود ... فهي بمثابة المحاضر، وقد ورد ذكرها بالسجل والديوان والكتاب في نصوص ابن الصغير[4]، مما يؤكد أنه كان للقضاة بالمغرب الأوسط سجلاتهم ودواوينهم.

– القمطر:

القمطرة عند الماوردي هي التي يكون فيها كتبهم وحججهم،[5] ويذكر ابن الصغير القمطر في عهد أبي اليقظان (261-281هـ) عندما يروي قصة القاضي أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي الشيخ الذي (ألقى الخاتمة والقمطرة [6]) للإمام أبي اليقظان وأقسم ألا يلي له القضاء[7].

ووجود القمطر ينم عن مدى الضبط والدقة والتنظيم الذي بلغه القضاء في عهد الرستميين فهو يشكل إحدى شارات القضاء عندهم[8].

---

[1] **الشراة :**وهوأن يبيع الإنسان نفسه ابتغاء مرضاة الله ...وهي أن تنتدب جماعة لا تقل عن أربعين رجل إمام لهم يبايعونه على طاعة الله ورسوله ...ثم تغيرت وظيفتهم إلى هيئة مراقبة لسلوك الإمام داخل الإمامة الإباضية ...،مجموعة من الباحثين ،المرجع السابق ،ج2،ص1099 .

[2]**إبراهيم بن مسكين (ق3هـ)** :من أعيان مدينة تيهرت الرستمية ، أسند إليه الإمام أبو حات يوسف ولاية الشرطة وخطتها ،فأداها أحسن أداء ،واستطاع أن يقطع الفساد ...ولاحق اللصوص ،فأمنت السبل ومشى الناس بعضهم إلى بعض ،محمد موسى بابا عمي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص(31-32) .

[3]ابن الصغير، المصدر السابق، ص-(116-117) ؛الشماخي ،المصدر السابق،ص263

[4]ابن الصغير، المصدر السابق، ص-(78-80) ؛أبو العرب ، المصدر السابق، ص 235 ؛ الرقيق ، المصدر السابق ،ص131 ، الدرجيني ،المصدر السابق،ج1،ص321؛ إبراهيم بحاز ، القضاء في المغرب الاسلامي،المرجع السابق ،ج1 ،ص402 .

[5]الماوردي ، المصدر السابق،ص108 ؛ إبراهيم بحاز ، المرجع نفسه ،ج1،ص(404-405)

[6]ابن الصغير ، المصدر السابق، ص89.

[7] إبراهيم بحاز ،المرجع السابق ،ج1 ،ص405 .

[8] إبراهيم بحاز ،المرجع نفسه ،ج1 ص405 ؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق ، ص279 .

الخاتم أو الطابع:

من أهم و أوكد أدوات القاضي في مجلس قضائه ، فهو حين ينهي كتابه يطبعه بخاتمه ليستدعي من يريد أو يوثق حكمه وقراره، وعند الرستميين ثبت امتلاك قضاتهم الختم كغيرهم من قضاة تلك الفترة، ويدل على ذلك قول عمروس ابن فتح النافوسي القاضي لوالي جبل نفوسة إلياس بن منصور: (إذا لم تأذن لي بثلاث يا إلياس فخذ خاتمك عني[1] ...) نفهم من العبارة أن الخاتم عند القاضي دليل على أن له سجلا يدوّن فيه القضايا والأحكام الصادرة عنه ويختمها بختمه رمزا للحكم الرسمي والقطعي الذي لا رجعة فيه [2].

– الدرة:

الدرة هي السوط الذي يضرب به مثل العصى، يؤدب بها السفيه والظالم، وهي حاضرة مع القاضي دائما وكأنها تشكل جزءا من شخصيته وهيبته،فالقاضي محكم الهواري كانت له عصا جاء بها معه من الأوراس[3] إلى تيهرت (...أتى إلى دابة له وركبها وأخذ كساه وعصاه ثم توجه نحو القوم[4]...)، وكذلك كان لأبي عبد الله مُحَمَّد بن بن عبد الله بن أبي الشيخ قاضي أبي اليقظان عصا[5] لا يخرج إلا بها ولا يجلس إلا وتكون معه.

– أدوات أخرى:

الحصير للجلوس عليها في أماكن قضائهم، والطومار وهو الورق الذي يكتب عليه إلى جانب دواة الأقلام لتحرير المحاضر والأحكام[6].

– إستقلالية القضاء:

توّج نظام القضاء الإسلامي الإستقلال بمبدأ الشورى،وأقام جسرا من العلاقة بين الإمام والقاضي بحثا عن عدالة أنجح، ولا شك أن مصلحة المجتمع في حسن سير القطاع العدالة على الوجه الأكمل، لذا وجب الاعتراف للقضاة باستقلالهم، وبهذا يتوافر المناخ المناسب للقاضي من أجل المبادرة والإقدام على أداء وظيفته دون تردد أو خوف يؤثر على حياده أو يعدم إرادته ويخدش إستقلاله.[7]

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 78؛عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص182 .
[2] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ج1، ص408 .
[3] **الأوراس:**جبل قريب من بغايا بافريقية ،بينه وبين نقاوس ثلاث مراحل ...وفي الجبل كانت الملكة الكاهنة المقتولة في الفتح الأول على يد المسلمين، الحميري، المصدر السابق، ص(65-66).
[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص78.
[5] نفسه، ص 100 .
[6] ابراهيم بحاز،القضاء في المغرب الاسلامي،المرجع السابق، ج1، ص(411-412).
[7] عبد الجبار حسين طاهر القحطاني، المرجع السابق، ص38 .

وعلى هذا النهج سار الرستميون في نظامهم القضائي الذي يكفل ضبط الأمور في دولتهم، فأقاموا نظاما تمتع القضاة في ظلّه بالنزاهة وحضوا بالاحترام الكامل، حيث لم يسمح هؤلاء لأحد بالتدخل في شؤونهم[1]، فالقاضي في تيهرت أو الولايات الرستمية بصفة عامة هو الشخصية العليا بعد الإمام في عاصمته وبعد الوالي في ولايته، وكان يتمتع بالنفوذ الأكبر الجاري حتى على الأعيان، وكان حكمه يمس كل الميادين التي ينص عنها القرآن [2]، وكانت سلطته منفصلة عن السلطة المركزية، فلا دخل للإمام ولا الوالي في شؤون القاضي مع أنهما هما اللذان يعيّنانه في منصبه.[3]

ولما كان القضاء في العهد الرستمي (160-296هـ/777-909م) هو الحق الذي يعلو ولا يُعلى عليه والسلطة المهيمنة على جميع السلطات،دفع بالقضاة إلى تقديم شروط للإمام مسبقا مقابل الموافقة على تولي منصب القضاء،ولم يكن للإمام إلا الرضى والقبول، وبالتالي قيّده القضاء من حيث لا يشعر[4]وللتمثيل على مدى حرية القاضي واستقلاليته نمثل بما يأتي:

جرأة القاضي عمروس النفوسي لما قال لوالي نفوسة أبي منصور إلياس:إذا لم تأذن لي بثلاث فخذ خاتمك عني:قتل الطاعن في دين المسلمين ومانع الحق والدال على عورات المسلمين[5].

وبما أن القضاء عرف هيبة في نفوس الراعي والرعية بهيبة القاضي وشخصيته القوية، حتمت على الإمام الرستمي نفسه عدم الجرأة على القضاة،[6]والتدخل في عملهم، وبالتالي عدم التأثير على أحكامهم، ومثال ذلك القضية التي طرحت على قاضي الإمام أفلح (208-258هـ) القاضي محكم الهواري الذي حكم ضد أخ الإمام أفلح في قضية الأرض المتنازع عنها، فالإمام لم يعارض الحكم ولم يطلب الشفاعة في أخيه ووقف بجانب حكم القاضي وأقر أن ما فعله محكم هو الصواب، لأنه كان يدري أن محكم الهواري بدوي لا يحترم أصحاب الجاه ويجري الحق على الراعي والرعية بالسوية[7]،وهذا أصل القضاء الإسلاميإذ يوجب التسوية بين الخصوم.

إن القضاة الرستميون اكتسبوا شخصية مهيبة ونفوذا واسعا حتى على من هم أعلى منهم مرتبة، فكانوا لا يهابون أحدا، فمجرد المساس بشأن من شؤون القاضي الرستمي مهما قل أو ضَأُلَ ، يقابله الاحتجاج العنيف من قبل القاضي والرفض القاطع ويفسرهما الاعتزال والتخلي[8]، ومثاله نجد القاضي مُحَمَّد بن عبد الله ابن أبي الشيخ قاضي

[1]محمد علي الحريري، مقدمة البناء السايسي للمغرب الإسلامي (الدولة الرستمية 160-296هـ) ،ط 2، دار القلم، الكويت ، 1983،ص230.

[2]موسى لقبال وآخرون، الجزائر في تاريخ العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، م.و.ك،الجزائر، 1984م،ص105.

[3]عثمان الكعاك ، المرجع السابق، ص185 .

[4]إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق،ج1، ص309 .

[5]أبو زكرياء، المصدر السابق، ص145؛الشماخي، المصدر السابق، ص225 .

[6]إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ج1،ص311 .

[7]مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، المرجع السابق ص133.

[8]مسعود مزهودي، المرجع نفسه ، ص153.

الإمام أبي اليقظان (261-281هـ) الذي بلغه أن أحد أولاد أبي اليقظان غير محمود السيرة، حيث قام باختطاف فتاة، فحاول استعمال كل الأساليب للوقوف على حقيقة الأمر، إلا أنه لم يستطع لا القبض على المتهم ولا الوصول إلى إثبات الفعل فقدم استعفاءه للإمام بقوله: (ما نقمت عليك شيئا، ولكن نقمت على بنيك[1]) فرمى إليه خاتمه وقنطره، وحينما حاول الشراة الاستفسار عن السبب أجاب بقوله: (دعوني من هذا والله لا وليت له قضاءا أبدا[2]).

يشير الأستاذ جودت عبد الكريم إلى علاقة استقلال القضاء بالراتب الذي يتقاضاه من بيت مال الدولة، يقول: كان موقف قضاة تيهرت يتصف بالشجاعة، خاصة أنهم كانوا يعتمدون على الإمام في معيشتهم، أعني أنهم يأخذون رواتب من الإمام الرستمي، وكان الأئمة الرستميون لا يتدخلون في عمل القاضي وأحكامه.[3] إن الطابع العام المميز للقضاء الرستمي استقلاليته حقيقة مستمرة طيلة القرنين 2هـ-3هـ وإن وجدت تدخلات من هذا الطرف أو ذاك، فهي تدخلات محدودة وشاذّة قلص من فعلها القضاة أنفسهم بصرامتهم وهيبتهم،وتفضيلهم الاعتزال على المساومات أو التدخل في شؤونهم والتأثير على أحكامهم القضائية.[4]

- شخصيات مارست القضاء:

1- عبد الرحمان بن رستم (160-171هـ):

في مقدمة الرستميين الذين تولوا القضاء الإمام عبد الرحمان بن رستم، الذي كان واليا وقاضيا في دولة أبي الخطاب (140-145هـ)، تلك أولى مسؤولياته القضائية ،[5] فقد ولّاه أبو الخطاب قضاء طرابلس، وبعد دخوله القيروان سنة 141هـ أوكله شؤونها، فكان متواضعا محبا للعدل والمساواة، وهو ما ذكره ابن الصغير بقوله: (لما نزلت الإباضية مدينة تيهرت وأرادوا عمارتها اجتمع رؤساؤهم فقالوا: قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ،... وقد كان الإمام أبو الخطاب المعافري رضي لكم عبد الرحمان قاضيا وناظرا فقلدوه أموركم [6])، ومنه قام بإرساء نظام الدولة في الحكم والإدارة مستعينا في ذلك بخبرته التي اكتسبها من الحكم في عهد أبي الخطاب، وقد غلب المذهب الإباضي على ماتخذه من إجراءات وتنظيمات داخل الدولة[7].

[1] ابن الصغير ،المصدر السابق،ص89.
[2] نفسه،ص90.
[3] جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص309
[4] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ج1، ص317 .
[5] محمد بن موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص247 .
[6] بن الصغير، المصدر السابق ،ص-(26-27) .
[7] جودت عبد الكريم، المرجع السابق ،ص277.

وكون الدولة في المراحل الأولى لها كان عبد الرحمان يتحمل مسؤولية القضاء، إذ جلس في المسجد للأرملة والضعيف، فلم ينقموا عليه في أحكامه حكما، يقول في هذا أبو زكرياء: (... أحسن السيرة في إمامته، ولم ينقم عليه أحد في حكومة ولا خصومة[1]).

قال عنه أحد معاصريه، لا أعلم من يخرج مسائل دماء أهل القبلة في زماننا هذا غير عبد الرحمان بن رستم[2] في المغرب، وأضاف ابن الصغير: (لما ولي عبد الرحمان بن رستم ماولي من أمور الناس شمر ميزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف، لا يخاف في الله لاومة لائم [3]).

بعدها اتخذ عبد الرحمان ابن رستم قضاة أعوانا له، وكان يقتطع من بيت المال من مال الجزية والخراج ما يكفيه ويكفيهم مدة سنة، ويقول في هذا ابن الصغير: (والسيرة واحدة وقضاته مختارة ...ثم ينظر ما اجتمع**من مال** الجزية وخراج الأرضين وما شابه ذلك، فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته[4]...)، وكان الإمام لا يقدم على عمل إلا بعد استشارة ومراجعة الشراة.

2- الإمام عبد الوهاب (171-208هـ):

ثاني الأئمة الرستميين، تولى حكم الدولة الرستمية بعد وفاة عبد الرحمان بن رستم وتمت مبايعته سنة 171هـ، رجل شجاع شهم،[5] كان شديدا في إقامة الحدود الشرعية على كل من انتهك حرمة من المحارم،[6] تولى القضاء في تيهرت ومنه في جبل نفوسة أثناء مكوثه بالجبل.

يقول في هذا الدكتور بحاز: (الإمام عبد الوهاب الذي رأيناه أنه كان القاضي في تيهرت جلس للقضاء في جبل نفوسة لما استقر بها سبعة أعوام [7])، ويضيف في هذا الدرجيني: أن قوما زعموا اختلافهم حول تابوت وأرادوا منه أن يفصل بينهم: (يا أمير المؤمنين افصل بين هؤلاء القوم وانزع التابوت من أيديهم جميعا حتى يصطلحوا، ويصح لمن يصلح منهم[8]).

كما أن الإمام عبد الوهاب يعتبر واضع شروط القضاء في رسالة إلى أهل طرابلس ونفوسة يحثهم فيها على اختيار القاضي العادل،[9]كما عين عبد الوهاب مجموعة من القضاة، وكان من الولاة من يتولى منصب القضاء والولاية، كما كان الأئمة يتولون الإمامة والقضاء معا،ومنهم من كان يفضّل منصب القضاء على الولاية.

---

[1]أبو زكرياء ،المصدر السابق، ص83.
[2]محمد بن موسى بابا عمي، المرجع السابق ،ج2،ص283
[3]ابن الصغير ،المصدر السابق،ص28 .
[4] نفسه، ص-(35-36).
[5]محمد عيسى الحريري ،المرجع السابق،ص111.
[6]سليمان باشا الباروني ، الأزهار الرضية في أيمة وملوك الإباضية ، مطبعة الأزهار البارونية ، مصر،ص115 .
[7]إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق ،ج1،ص179 .
[8]الدرجيني ،المصدر السابق ، ج1،ص52 .
[9]ابن سلام ،المصدر السابق،ص96 .

3- أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي:

الوالي القاضي، كان يتمتع بمكانة علمية عالية، وأثناء تواجد الإمام عبد الوهاب بجبل نفوسة أوكل له الحكم على متخاصمين في مجلسه، وهذا من أجل اختباره، فحكم بينهما وعدل، يقول الدكتور بحاز: ومن أشهر الولاة القضاة الذين عيّنهم عبد الوهاب على جبل نفوسة ... أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي.[1]

4- الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ):

ثالث الأئمة الرستميين تولى القضاء إلى جانب الإمامة إذ تنازع أبو العباس أخو أفلح ... وصهر الإمام أفلح على أرض فارتفعا إلى أفلح،[2] وكان الإمام أفلح عادلا كل العدل في أحكامه لا يحابي أحدا ولو كان أخاه أو أباه أو صهره، أو أحب حبيب إليه، وكان ولّاته وقضاته على عدله وحكمه بما أنزل الله ومساواته بين المتخاصمين في المجلس والحقوق.[3]

5- محكم الهواري:

تولى القضاء في عهد الإمام أفلح، عيّن بعد وفاة قاضي الإمام عبد الوهاب، يقول ابن الصغير: (...إن قاضيا من قضاة أبيه مات في أيامه فاجتمعت الشراة إليه وسألوه أن يولي القضاء من يستحق ذلك،[4] فرد عليهم الإمام: أن أجمعوا جمعكم وقدموا خيركم، ثم أعلموني به أجبره لكم وأعضده على ما يكون فيه الصلاح لكم)، فاختار الشراة محكم الهواري بعد أن أجمعوا رأيهم عليه، فقالوا للإمام أفلح: قد تدافعنا فيما بيننا فلم نرض أحدا منا وقد ارتضينا جميعا بمحكم الهواري الساكن بجبل أوراس لخاصتنا وعامتنا ودِيننا ودنيانا، فرد عليهم أفلح: إنكم دعوتم إلى رجل كما وصفتم ولكن هو رجل نشأ في البادية ولا يعرف قدر أو شرف أحد، ويقول في هذا ابن الصغير: (ويحكم، دعوتم إلى رجل كما وصفتم في ورعه ودينه ولكن هو رجل نشأ في بادية ولا يعير لذي القدر قدره ولا لذي الشرف شرفه)، فتثبتوا به وأرسلوا إلى محكم طالبين منه الحضور إلى تيهرت ليتولّى المنصب، فأتى على دابته وانطلق من جبل الأوراس قاصدا تيهرت، يقول ابن الصغير: (فلما ورد كتاب القوم على محكم ورسلهم أتى إلى دابة له وركبها وأخذ كيساه وعصاه ثم توجه نحو القوم حتى أتى البلد وقصد الجامع ونزله، فابتدر إليه أصحابه فأحاطوا به وقالوا: إن فلان ابن فلان القاضي توفي، وقد أجمع رأي المسلمين ورأي الإمام عليك ... فاتق الله ولا تخالف الإمام والمسلمين عما دعوك إليه فإن خالفتنا أجبرناك وإن أطعتنا شكرناك[5]).

---

[1] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ج1، ص165.
[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص51.
[3] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010، ج3، ص 364.
[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 49؛البارون، المرجع السابق، ص212 .
[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص50.

ثم أنزله الشراة بدار القضاء وأجروا عليه من بيت مال المسلمين واشتروا له خادما، فسار بهم سيرة حسنة[1]،ولم يتوان عن قول الحق والقضاء بأمر الله،وكان عادلا نزيها لا يفرق بين أحد في مجلسه، وأحكامه كانت صارمة لاينحاز لأحد من الخصوم، ومن شدته وصرامته كان لا يفرق بين أحد في مجلسه،[2] ومثال ذلك ما وقع مع أخ الإمام أفلح وقد ذكرنا ذلك سابقا. [أنظر الملحق رقم: 04]

6 –مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي الشيخ:

من مشاهير البربر، تولّى القضاء في عهد أبي اليقظان (261-281هـ)،[3] عيّنه مجلس الشراة، الذين شاورهم الإمام فور دخوله تيهرت بعد الفتنة، فيمن يستحق تولّي هذا المنصب، فوقع الاختيار عليه.[4]

يقول ابن الصغير: لما دخل أبو اليقظان المدينة ونزلها كان أول شيء نظر فيه من أمور الناس أن استصلح لهم قاضيا بعد أن شاور جماعة منهم، فأشاروا به وكان اسمه القاضي أبا عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي الشيخ،[5] وقد كان ورعا تقيا عالما زاهدا، نابغا في الفقه والأحكام، عادلا في القضاء،[6]وحدث في عهده أن وجد نفسه عاجزا عن إقامة حد لابن الإمام، فتخلّى عن منصبه، وقال عنه لخضر سيفر:امتاز بتصلبه ...فرمى ...خاتمه وقمطره وقال للإمام أبي اليقظان: (ولّ على قضائك من تريد[7]) ونظرا لما اشتهر به من صفات الشدة والعدل فقد ولاَّه أبو حاتم يوسف (281-294هـ) القضاء كذلك في فترة حكمه.[8]

7– عمروس بن فتح النفوسي:

أشهر القضاة الإباضية، مكث بالمغرب عشرين عاما يطلب العلم، تولّى القضاء بجبل نفوسة، قال عنه الدرجيني: (إن عمروسا كان أعلم أهل زمانه)، ويضيف في هذا أبو زكرياء: (وكان عمروس عالما كبيرا له كتابان في الأصول والفقه... وكان حافظا فطنا حاضر الحجة)،[9] فكان أشهر قضاة نفوسة وقد ولاَّه إلياس بن منصور والي جبل نفوسة على منصب القضاء،[10] كما اشتهر بشدة الحزم والحرص على إقامة العدل، بحر علم زاخر، بل حاز المفاخر وحاز قصب السبق،[11] ولشدته وحزمه قال ذات يوم للوالي أبا منصور: إن لم تأذن لي بثلاث فخذ

---

[1]ابن الصغير، المصدر السابق، ص51؛محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص267.
[2]محمد بن موسى بابا عمي، المرجع السابق ،ج2، ص355 .
[3]الباروني، المرجع السابق، ص68؛محمد بن موسى بابا عمي، المرجع السابق ،ج2،ص273.
[4]مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص133؛محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص170.
[5]ابن الصغير، المصدر السابق، ص77.
[6]الباروني، المرجع السابق، ص239؛ محمد بن موسى بابا عمي المرجع السابق، ج2، ص386 .
[7] ابن الصغير، المصدر السابق، ص93.
[8]لخضر سيفر، التاريخ السياسي لدول المغرب الاسلامي، دون معلومات، ج1، ص85 .
[9]ابو زكرياء المصدر السابق، ص150.
[10]الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص231؛إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ج1، ص166 .
[11]الباروني، المرجع السابق، ص119 .

خاتمك يا إلياس، مانع الحق يقتل، والطاعن في دين المسلمين يقتل، والجاسوس يقتل، وقد سار بهم سيرة حسنة محافظا على حقوقهم، شديدا على الظالم قويا عليه حتى يأخذ الحق منه،[1] وهكذا فالقاضي عمروس يعد من أبرز قضاة الدولة الرستمية على الإطلاق، شارك في موقعة مانو الشهيرة283هـ، أسره الأمير الأغلبي ليستشهد بعدها.[2]

– أثر القضاء على العمران البشري:

لما كان أبرز ركن قامت عليه الدولة الإسلامية عامة والدولة الرستمية خاصة هو العدل، كان القضاء هو الأداة الوحيدة الكفيلة بتحقيقه، وعلى هذا الأساس عُد من أشرف الخطط وأجلها، ولابد أن تكون للقضاء آثار ومساهمات وأن يترك بصمات عميقة باقية في نواحي الحياة: الاجتماعية – الاقتصادية – السياسية والثقافية، وهذا لا يكون إلا من خلال معالجته لقضايا مختلفة تعرض عليه.

1- الأثر الإجتماعي:

إن أثر القضاء في الحياة الإجتماعية من مهام القاضي ومسؤوليات القضاء الأساسية، فمن خلال ممارسات القضاة عملهم تؤهلهم للاحتكاك بفئات المجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الرستمي: كالأثرياء والفقراء والأتقياء وأصحاب المجون وغيرهم، ومن ثمّ كان القضاة أقدر الناس على الوقوف على أدق تفاصيل المجتمع، وأكثرهم دراية بمشاكله والصعاب التي تواجهه.[3]

من الأمور الإجتماعية التي نظر فيها القضاء وقال كلمته:شؤون الزواج والميراث ومختلف المشاكل الأسرية التي حاول أن يحلها بطرق سلمية، كما نظر القضاء في عديد قضايا المجتمع كقضية السرقة، التي انتشرت في المجتمع الرستمي خصوصا في عهد الأئمة المتأخرين،لجأ القضاة إلى التشديد في العقاب على ذلك، ففرضوا عقوبة قطع الرجل دون العَاقب، وبالتالي تطبيق الحدود من أجل تصفية المجتمع من المجرمين، وبالتالي المحافظة على سلامة المجتمع[4] .

[1]علي يحي معمر، المرجع السابق، ج1، ص153 .
[2]إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ج1، ص167.
[3]منصف جودة عمران البرعصي، القضاء في افريقية منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الأغالبة، مذكرة ماجستير، إشراف: بشير رمضان التليسي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بن غازي، ليبيا، 2006-2007، ص114 .
[4]نوال برة، المرجع السابق ،ص266.

كما التزم الرستميون بتطبيق أحكام الشريعة وتعاليمها، فألزم القاضي إقامة حد الزنا على الحر والعبد على السواء، إلى جانب تطبيق حدّ القذف وهو الجلد، وهي المسألة التي وردت في إحدى النوازل الواردة في مسائل نفوسة،بخصوص امرأة قذفت أخرى واحتجّت، فما كان من القاضي إلا أن يخرجها ويوقع في حقها الحد.[1]

ويؤكد لنا ابن الصغير أن المجتمع الرستمي عرف شرب الخمر، ففي خضم الصراع بين الإمام أبو حاتم (281-294هـ) وعمه ظهر المسكر: (وكانت البلد قد فسدت وفسد أهلها، واتخذوا المسكر أسواقا والغلمان أخدانا[2]) فشدّد على عقاب شارب الخمر، فإلى جانب الجلد ألزم القاضي بإتلاف كل ماتعلق بالمسكر من آنية وصهر لقدور الخمر النجسة لتغيير شكلها وتحريم استخدامها.[3]

ومن مسائل القتل الخطأ والدماء، كان أبو مرداس مهاصر السدراتي[4] إذا نزلت عليه مسألة بهذا الشأن كتب بها إلى عبد الخالق الفزاني[5] ويعمل بما يجيبه،[6]كما أورد الدرجيني في طبقاته قضية قتل خطأ، أن رجلا رمى طائرا بحجر على غصن الزيتونة فتطاير بعض الحجر وأصاب رجلا فأرداه قتيلا، فتخاصم أهل القتيل مع أهل القاتل عند القاضي أبي معروف وبدرن بن جواد[7] بويغو إحدى قرى جبل نفوسة ... فحكم بالدية بينهم وتفرقوا على أيسر حال.[8]

هذا الحكم حقق العدل ووفر الطمأنينة وأرسى الاستقرار، وإلا كادت القبيلتان أن تقتتلا فيعمّ الفساد والثأر والبطش .

---

[1] اعبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (ت208هـ،مسائل نفوسة، تح إبراهيم طلاي، المطبعة العربية، غرداية ، الجزائر، 1991م، ص 181؛ نوال برة، المرجع السابق ،ص 266.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص116 .

[3] أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ت 914)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والاندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ج6، ص418؛نوال برة، المرجع السابق، ص288.

[4] **أبو مرداس مهاصر السدراتي (ق3هـ):**من كبار مشايخ بترست بجبل نفوسة، ويبدو أنه من قبيلة سدراتة، عاصر الإمام عبد الوهاب والشيخ عاصم الصدراتي ...ذكر عنه أنه رجل حازم، لا تأخذه في الله لومة لائم، كان عالما بأحكام الدماء، وله مناظرة فيها مع الإمام عبد الوهاب ...، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص246.

[5] **عبد الخالق الفزاني أوائل القرن 3هـ :**أحد أعلام فزان، ومن أوائل أعلامها تلقى العلم عن عاصم السدراتي، كان أعلم أهل زمانه في أصعب أحكام الفقه وهي الدماء وأحكامه، عاصر عمروس بن فتح النفوسي، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2،ص245.

[6] جناو ابن فتى وآخر، المصدر السابق، ص200؛إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، ج1، ص334.

[7] **أبو معروف بدرن بن جواد حي بعد 283هـ:** قاض من العلماء المقدمين ،سكن ويغو ...وهو ممن جازت عليه سلسلة نسب الدين الأطرابلسية، له إلمام بعلم الفرائض بخاصة مسائل الميراث والديات، فمن قصده آملا فاز بالأمل لأنه جمع بين العلم والعمل، محمد موسى بابا عمي، المرجع السابق، ج2، ص447 .

[8] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص328؛الشماخي، المصدر السابق، ص-(264-265).

2- الأثر الاقتصادي:

لما كان للقضاء دور في الحياة الاقتصادية والمعاملات اليومية للناس من أجل معاقبة المجرمين وردعهم بتطبيق العقوبات عليهم حسب جنحهم و جرائمهم، فقد عرض على القضاء الرستمي عدة قضايا من هذا الباب ذات طابع زراعي وتجاري، خاصة مع الرخاء الإقتصادي الذي شهدته الدولة الرستمية، فقد كانت تجارتها وزراعتها رائجتان، هذا ما أفرز خصومات حول الأراضي الزراعية[1]، ومنه ما ذكره ابن الصغير حيث يروي سماع القاضي محكم الهوراي قضية أرض متنازع عليها بين رجلين أحدهما أخو الإمام أفلح والآخر صهره وحكم فيها بالعدل .

كما عرضت على القضاء الرستمي قضايا تتعلق بالأراضي والنزاع حولها،وبالثمار وسرقته ،وادعاء ملكية خراف،[2]وأيضا عالج القاضي أيام الرستميين قضايا البيوع والغش من طرف التجار، من خلال إظهار المبيع بخلاف بخلاف باطنه، أو التدليس، كخلط اللبن بالماء فطبق عقوبات صارمة، منها: إتلاف السلعة كاملة، تسليط عقوبة النفي على التجار الغشَّاشين نحو البادية أو إلى حي آخر غير حي الجاني، ونفي بعضهم من الأسواق ومنعوا من البيع فيها،[3]وألزموا التاجر الغشَّاش الغرامة التي قد تكون بمثل ما وقع فيها الغش.[4]

3 – الأثر السياسي:

لقد حقق القاضي عبد الرحمان بن رستم مالم يحققه أحد من القضاة في بلاد المغرب، فلقد أسس دولة تولَّى هو إمامتها (160-171هـ)، وهو بذلك جمع بين الإمامة والقضاء في تيهرت، بعد أن جمع قبلها بين الولاية والقضاء في دولة أبي الخطاب حينما كان قاضيا ووواليا على القيروان[5]، وهذا دليل كاف على مساهمة القضاء في الجانب السياسي.

إن القضاة الرستميين لم يقبعوا في المساجد لفض المنازعات وإحقاق الحق بين الناس فقط،بل ساهموا في مختلف المعارك التي خاضتها دولهم، ونال بعضهم شرف وفضل الشهادة، ولنا في عمروس ابن فتح النفوسي خير مثال ،حينما شارك في معركة مانو 283هـ بين نفوسة وأبي العباس بن إبراهيم بن أحمد الأغلبي ووقع في أسره[6]

[1] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ج1، ص317 .
[2] اعبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، المصدر السابق، ص145؛الوسياني، المصدر السابق، ص196؛الشماخي ،المصدر السابق، ص 205-220، وهنا وهناك .
[3] يحي بن عمر، المصدر السابق، ص50.
[4] الونشريسي، المصدر السابق، ص119.
[5] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ج2، ص529.
[6] إبراهيم بحاز، المرجع نفسه، ج2، ص231.

فأشار إلى عمروس بأن يستعفى فيعفى عنه،فقال عمروس: تلك كلمة لا يسمعها مني ... فجعلوا يقطعون أعضاءه، فقطعوه أنملة فأنملة، فلما وصلوا بالقطع إلى عضده استشهد –رحمه الله– [1].

كما تتجلى مساهمة القضاء والقضاة على الصعيد السياسي من خلال إسناد أمر الولاية إلى بعض القضاة، فقد استعمل الرستميون الولاّة القضاة في بعض الأقاليم خصوصا الشرقية منها، فإلى جانب تولّي شؤون السياسة تولى القاضي شؤون القضاء، وتجلّى ذلك في أبي منصور إلياس و إلي جبل نفوسة، الذي كان يتولّى مهام الولاية ويجلس لسماع شكوى الخصوم،[2] وذلك أواخر العهد الرستمي.

4 –الأثر الثقافي:

لقد كان للقضاء والقضاة الدور البارز في إثراء الفقه الإباضي، إذ يعدّون من الأوائل الذين حملوا أسس المذهب إلى المغرب، وأولهم عبد الرحمان بن رستم، وساهموا في تطبيق أحكامه على أرض الواقع، أخذ عليهم الخلف اقتداء بهم وهم السلف، فكانت فتاواهم واجتهاداتهم وأحكامهم في العديد من النوازل والعديد من المجالس القضائية أساس التدوين الفقهي، وتلك مساهمة عظيمة وجليلة لفقهاء وقضاة هذه الفترة، وقد جمع أبو يعقوب الورجلاني(ت570هـ) العديد من تلك الأحكام والاجتهادات في كتابه الدليل لأهل العقول.[3]

ومن الآثار الثقافية الباقية لقضاة بني رستم، المخلدة لأعمالهم، والشاهدة على علوّ كعبهم في العلوم العقلية والنقلية، تلك المؤلفات والكتب التي خلفها قضاة هذه الفترة، ومنها كتاب: مسائل نفوسة للإمام عبد الوهاب، وكتاب: جوابات للإمام أفلح، وكتاب: تفسير العزيز الحكيم لهود بن محكم الهواري، الذي يعدُّ التفسير المعتمد لدى القضاة الإباضيين، وكتاب:أصول الدينونة الصافية للقاضي عمروس بن فتح النفوسي.[4]

وإلى عمروس يرجع الفضل في حفظ مدونة أبي غانم بشر بن غانم (ت188هـ) وذلك لأنه استنسخها،[5] وبذلك عَدّ الدرجيني القاضي عمروس: (منقذ المذهب الإباضي من الزوال[6]).

إن هذه الكتب التي أسهم بها بعض قضاة الإباضية تُعد الأساس الأول للتأليف الفقهي عند الإباضية، ثم إن اجتهاداتهم وأحكامهم التي لم يألفوا لها كتبا بخاصة، لم تهمل، إنما احتفظت بها كتب الفقه التي ستألف في القرون الموالية.[7]

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص83؛الشماخي، المصدر السابق، ص229-233، وهنا وهناك.

[2] الدرجيني ، المصدر السابق،ج2،ص330 ؛ابراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الإسلامي،المرجع السابق، ج2، ص512.

[3] ابو يعقوب الورجلاني ، المصدر السابق ، ص93 ؛ابراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الاسلامي،المرجع السابق، ج1، ص321.

[4] ابراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الاسلامي ،المرجع السابق ، ج1،ص322 .

[5] ابراهيم بحاز ،نفسه ،ص200 .

[6] الدرجيني ،المصدر السابق ،ج2،ص320 .

[7] إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق،ج2،ص544 .

ومن مساهمات القضاء الثقافية، تلك المجالس العلمية التي كان القضاة يعقدونها قبل وأثناء وبعد توليهم القضاء،ساهموا بها في الحياة الثقافية لبلاد المغرب الأوسط، وما كان يجري فيها من المناظرات الفقهية والكلامية التي كان يحضرها القضاة، فقد أخذت قضية خلق القرآن حيزا واسعا من الفكر والمناقشات بين أنصار المذاهب المتعايشة في تيهرت، وكان بعض القضاة يساهمون في تلك المناظرات التي عرفت حدة بين الإباضية والمالكية وذلك للتقارب المذهبي بينهما.[1]

ومن القضايا الثقافية التي عرضت على القضاء الرستمي، وجدنا القضاة الرستميين يفضّون نزاعات حول ملكية كتب، وهو ماعُرض على أبي جمال المدوني [2]لما وقف أمامه رجلان كل يدّعي ملكية كتاب: تفسير هود بن محكم الهواري، وكادت عشيرتهما أن تقتتلا، مما حدا بأبي جمال المدوني إلى تقسيم الكتاب نصفين، وأمر كل واحد منهما بنسخ النصف الثاني، وهكذا وجدت نسختان بدل نسخة واحدة، فاصطلح الفريقان وافترقا على خير.[3]

في الأخير يمكن أن نخلص إلى أن شكّل تنظيم مجالس القضاء وتفعيل آليات ممارسته وفق قواعد العدل والإنصاف، في إطار المرجعية الفقهية الإباضية، ركيزة أساسية في تدعيم أركان الدولة الرستمية. فقد كان القضاء، المستند إلى مبادئ المذهب الإباضي، أداة فعّالة لحل النزاعات وضبط العلاقات داخل المجتمع، مما عزّز ثقة الرعية في السلطة وساهم في ترسيخ الأمن والاستقرار. وقد ساعدت الوسائل الكفيلة بحسن سير القضاء وضمان استقلاله عن التدخلات السياسية على بناء نظام حكم متوازن، يقوم على سيادة القانون واحترام الحقوق، ويجسّد التصور الإباضي للحكم الرشيد.

كما أن الكثير من أعلام الدولة الرستمية باشروا القضاء بكل نزاهة واقتدار، فكانوا قدوة في إرساء العدالة، ومن أبرزهم القاضي أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر النفوسي، والإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن، والعالم أبو سفيان محبوب بن الرحيل، الذين جمعوا بين العلم والورع وحسن التدبير، وأسهموا في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية بما يضمن استقرار الدولة. وقد مثّل هؤلاء القضاة والعلماء نموذجًا للقضاء النزيه والمستقل، وكان لعطائهم أثر بالغ في ازدهار الدولة الرستمية واتساع رقعة نفوذها، وتوطيد مكانتها في المغرب الأوسط وخارجه .

.

[1]إبراهيم بحاز ،القضاء في المغرب الإسلامي، ج2،ص544 .

[2] **أبي جمال المديوني المزاتي حي بعد 354هـ :**عالم وافر الثروة كريم ،ولما بويع أبو خزر بن زلتاف إمام دفاع ،اتخذه عاملا له على أورجيلان ...يصفه الدرجيني بأنه فقيه الأسلاف وصاحب الاجتهادات ،محمد موسى بابا عمي ، المرجع السابق ،ج2،ص114.

[3]الدرجيني ، المصدر السابق، ج2،ص-(345-346) ؛ ابو زكرياء ،المصدر السابق ، ص 360؛إبراهيم بحاز،القضاء في المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص553.

الخاتمة

خاتمة:

تهدف هذه الدراسة لإحياء جزء من تراثنا المندثر الذي نحن بحاجة إليه في وقتنا الحاضر ، نظرا لما آل إليه حال الأمة الإسلامية بصفة عامة والقضاة بصفة خاصة، عندما ابتعدوا عن تطبيق القوانين الشرعية في النظام القضائي.

ومن خلال الدراسة التي قمت بها تبين أن الدولة الرستمية باعتبارها أول دولة استقلت بجغرافية المغرب الأوسط، قد اهتمت بالنّظُم وجعلت النظام القضائي أشرفها وأعلاها منزلة بعد منصب الإمام، وقد سعى القضاة الرستميون إلى الحكم وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد وثَّقت المصادر التاريخية (الإباضية والمالكية) أحكام القضاة في تلك الفترة.

لقد اعتبر النظام القضائي الفرع الأساسي للأنظمة القضائية التي تندرج تحتها مؤسسات مكملة ومساندة له، كالحسبة والشرطة وقضاء المظالم،هذه الخطط جعلت القضاء الرستمي أكثر تنظيما إلى جانب تنظيم مجلس القاضي من مكان انعقاد الجلسات القضائية، وأعوان القاضي ومساعديه، كما استعمل القاضي أدوات لتوثيق أحكامه.

لقد كان لقضاة الدولة الرستمية هيبة كبيرة لدى العامة والخاصة، هذا ما أكسب القضاء الإستقلالية التامة عن السلطة، فلا تدخّل لها في القضاء إطلاقا، من هنا مارس القاضي مهامه في تطبيق الأحكام على كافة الناس دون تمييز، مما أسهم في إرجاع الحقوق لأصحابها مهما اختلفت دياناتهم وعقائدهم وهو ما أثَّر في العمران البشري .

والسؤال الذي يطرح أخيرًا:

لماذا أهملت المصادر التاريخية هذا النظام رغم أهميته؟ وهل كان هناك قضاة للمذاهب والطوائف المتعايشة في الدولة الرستمية؟ وهل حقا النظام القضائي الرستمي كان نزيها لهاته الدرجة، إذ أن المصادر الإباضية منها خاصّة لم تذكر تجاوزات من قبل القضاة؟

وأخيرًا يمكنني القول أن استفادتي كانت عظيمة، بتناولي هذا الموضوع،في إحدى النظم الإسلامية وهو القضاء، أفدت كثيرا من المصادر والمراجع التي وجب عليَّ الرجوع إليها .

كما أرجو أن يوفقني الله في مستقبل الأيام لتناول موضوع القضاء من جوانب أخرى مغفلة بالغرب الإسلامي عموما، و المغرب الأوسط خصوصا، وخلال عصر الدول المستقلة التي تعاقبت الحكم عليه بأن يكون إن شاء الله موضوعا لأطروحة الدكتوراه.

الملاحق

ملحق رقم 01: الأئمة الرستميين

نقلا عن محاضرات الدكتور :محمد حصباية،جامعة المسيلة،2024-2025

ملحق رقم 02 : جدول بأسماء قضاة الرستميين بالأقاليم

اسم القاضي	فترة القضاء	المكان	الوالي	الإمام الرستمي	ملاحظات
ابن مغطيرالنفوسي	160-197هـ	جبل نفوسة	لا وجود له	عبد الرحمن وعبد الوهاب	استنتجنا ذلك تخمينا
قضاة حكام	160-296	شمال جنوب غرب تيهرت	؟؟	كل الأئمة الرستميين	؟
عبد الوهاب بن عبد الرحمان	190-197هـ	جبل نفوسة	لا وجود له	عبد الوهاب	فترة إقامته بجبل نفوسة
السمح بن ابي الخطاب عبد الأعلى	197-207هـ	جبل نفوسة	السمح بن أبي الخطاب	عبد الوهاب	وال قاضي
أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي	207		أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي	عبد الوهاب وأفلح بن عبد الوهاب	وال قاضي
أيوب بن العباس(أبو الحسن)	207-؟	جبل نفوسة	أيوب بن العباس	عبد الوهاب	وال قاضي
أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي	؟-؟	جبل نفوسة	عبد الحميد الجناوي	عبد الوهاب	وال قاضي
وكيل بن دراج النفوسي	؟-؟	قفصة	وكيل بن دراج	عبد الوهاب	وال قاض

اسم القاضي	فترة القضاء	المكان	الوالي	الإمام الرستمي	ملاحظات
سلام بن عمر اللواتي	؟-؟	سرت	سلام بن عمرو	عبد الوهاب	وال قاضي
محمدبن إسحاق الخرزي	؟-؟	نقراوة	محمد بن إسحاق	عبد الوهاب	وال قاضي
أبو يونس وسيم النفوسي	؟-؟	قنطرار	وسيم النفوسي	عبد الوهاب	وال قاضي
مدرار بن اليسع	؟-؟	جبل دمر	مدرار	عبد الوهاب	وال قاضي
سلمة بن قفطان الزواغي	؟-؟	قابس وجربة	سلمة	عبد الوهاب	وال قاضي
العباس بن أيوب بن العباس	بعد وفاة عبد الحميد الجناوي	جبل نفوسة	العباس	أفلح بن عبد الوهاب	وال قاضي
ميال بن يوسف	؟-؟	نقزاوة	ميال	أفلح بن عبد الوهاب	وال قاضي
سعد بن أبي يونس وسيم	؟-؟	قنطرار	سعد	أفلح بن عبد الوهاب	وال قاضي

اسم القاضي	فترة القضاء	المكان	الوالي	الإمام الرستمي	ملاحظات
أبو ميسور يصليتتالنفوسي	؟-؟	قرية في جبل	؟؟	الإمام عبد الوهاب	قاض
عمروس بن فتح النفوسي	؟-283هـ	جبل نفوسة	أبو منصور الياس	أبو اليقظان وأبو حاتم	وال قاض
أبون منصور إلياس	؟-283هـ	جبل نفوسة	أبو منصور الياس	أبو اليقظان وأبو حاتم	قاض
محمد بن جلداسين	؟-؟	لالت	؟؟	رمبا عهد أبي اليقظان	قاض
ابو يحي بن ماطوس	؟-؟	شروس	؟؟	ربما عهد أبي اليقظان	قاض
أبو معروف ويدران بن جواد	؟-283هـ	ويغو	؟؟	أبو حاتم	قاض
عبد الله بن الخير	283-هـ	جبل نفوسة	لا وجود للوالي	أبو حاتم ويعقوب	قاض
أبو الخطاب وسيل بن سنتين	294-296هـ	ريزة	بعد مانو لا والي	اليقظان بن ابي اليقظان	قاض
أبو عبد الله بن أبي عمرو بن أبي منصور الياس	بعد مانو	جبل نفوسة	بعد مانو لا والي	اليقظان بن أبي اليقظان	قاض

اسم القاضي	فترة القضاء	المكان	الوالي	الإمام الرستمي	ملاحظات
أبو يحي زكرياءالأرجاني	بعد مانو	جادو	بعد مانو لا وجود للوالي	اليقظان بن أبي اليقظان	قاض
أبو عبد الله بن أبي عمرو ابن أبي منصور الياس	بعد مانو	جبل نفوسة	بعد مانو لا وجود للوالي	اليقظان بن أبي اليقظان	قاض
المشايخ	بعد مانو	جبل نفوسة	بعد مانو لا وجود للوالي	اليقظان بن أبي اليقظان	قاض
أبو يعقوب بن سهلوان الطرفي	أواخر عهد الرستميين	وارجلان	حنون بن يسريان	اليقظان بن أبي اليقظان	قاض

نقلا عن ابراهيم بحاز :القضاء في المغرب الإسلامي ،ص(673-676)

- **ملحق رقم 03:**
- **رسالة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الى إباضية طرابلس**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من أمير المؤمنين عبد الوهاب الى جماعة المسلمين بحيز طرابلس

أما بعد :

فإني أمركم بتقوى الله تعالى والإتباع لما أمركم به كالانتهاء عما نهاكم عنه ، وقد بلغني ما كتبتم إلي به من وفاة السمح ، استخلاف بعض الناس خلفا ورد أهل الخير ذلك ، فإن من ولي خلفا من غير رضى إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين ، ومن أبى توليته فقد أصاب ، فإذا أتاكم كتابي هذا ، فليرجع كل عامل استعمله السمح الى عمله الذي ولي عليه إلا خلف بن السمح حتى يأتي أمري ، وتوبوا الى ربكم لعلكم تفلحون[1] .

ملحق رقم 04:ما يقوله القاضي عند إصدار الحكم

((معشر المسلمين ، أنا أشهدكم إن فلانا اختصم مع فلان ابن فلان ، في أمر كذا وكلفت لفلان البينة فأتى بها ، وكلفته التعريف بها فقبلتها ، وكلف المشهود عليه المرجع والتحريج لمن شهد عليه في ذلك ، وأجلته أجلا بعد أجل ، فعجز –أو قال – تبين لدده ومطلبه ، اشهدوا أني قد حكمت عليه فلان ابن فلان ، بعد الإعذار والإنذار والتأجيل بما ينبغي وكما ينبغي))[2] .

[1] المصدر :الشماخي ، السير ، ص-(180-181)

[2] ابراهيم بحاز : القضاء في المغرب الإسلامي ، نقلا عن مخطوط لابن سحنون ،ج2/ص655.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف

أ - المصادر

ب - المراجع

ج -المقالات والملتقيات

د-الرسائل الجامعية

القرآن الكريم

– الحديث الشريف

أ –المصادر

1- البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت 256هـ)، صحيح البخاري ،ط3، دار ابن كثير ، دمشق ، 1987.

2- البغطوري مقرين بن محمد (حي سنة 599هـ)،سيرة مشايخ نفوسة ، تح توفيق عياد الشقروني ، مؤسسة تاولات الثقافية ، ليبيا ، 2009 .

3- البكري أبو عبد الله عبد العزيز محمد (ت 487هـ) ،المسالك والممالك ،تح جملة طلبة ،ط1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،2002،ج2 .

4- الترميذي أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي (ت297هـ)،سنن الترميذي ،تح محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكيب العلمية ، بيروت .

5- جناو بن فتى وآخر (ق3هـ) ،أجوبة علماء فزان،تح خليفة النامي وابراهيم طلاي ، دار البعث ،قسنطينة ، 1991.

6- الجاعلي موفق الدين الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت620هـ) ،المغني ،تح ابو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامى المقديسي ،ط1،ج1،الكويت .

7- الحميري عبد المنعم الصنهاجي (ت727هـ) ،الروض المعطائ في خبر الأقطار ،تح إحسان عباس ،ط2، مطابع هيد لبرغ ،لبنان ،1984 .

8- بن حنبل أحمد (ت241هـ) ، المسند ،شرح أحمد محمد شاكر ، أكمله حمزة الزين ، ط1،دار الحديث ، القاهرة،1995 .

9- ابن حوقل ابو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي النصبي (ت367هـ) ،صورة الأرض ،ط1، منشورات مكتبة دار الحياة ،1988 .

10- الخشني محمد بن الحارث (ت 361هـ)،كتاب طبقات علماء أفريقية ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

11- ابن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ)،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر ، بيروت ،2002.ج6.

12- ابن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ) ،مقدمة ابن خلدون ،تح ،محمد الشامي ،شركة دار الكتاب الحديث ، الجزائر ،2016 .

13- أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275هـ)،سنن ابي داوود،ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1969.

14- الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ)،طبقات المشايخ بالمغرب ،تح ابراهيم طلاي ،مطبعة البعث ،قسنطينة ،1975.ج2.

15- الذهبي شمس الدين بن احمد بن عثمان (ت673هـ)،سير اعلام النبلاء ،اعتناء حسان ابن منان ،بيت الأفكار الدولية ، لبنان ،2004،ج 1،ج2،ج3،ج4،ج5،ج8،ج15.

16- الرحبي ابو القاسم علي بن محمد بن أحمد السمناني (ت499هـ)،روضة القضاة وطريق النجاة ،تح صلاح الدين الناهي ،ط2،دار الفرقان ، عمان ،1984،ج1

17- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم ابن القاسم (ت415هـ)،تاريخ افريقية والمغرب ،تح عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمر موسى ، ط1، دار الغرب الاسلامي،بيروت ،1990.

18- الشريف الإدريسي أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة ،2002.

19- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد(ت928هـ)،كتاب السير ،تح أحمد بن سعود السياجي،ط1،وزارة التراث القومي والثقافة ،سلطنة عمان ،1992.

20- ابن الصغير (ق3هـ)،اخبار الأئمة الرستميين ،تح:محمد ناصر وبحازابراهيم،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1406هـ.

21- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الافريقي (ت333هـ)،طبقات علماء افريقية وعلماء تونس ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، 1920.

22- عبد الوهاب ابن عبد الرحمان بن رستم (ت208هـ)،مسائل نفوسة ،تح ابراهيم طلاي ،المطبعة العربية ،غرداية ، الجزائر ، 1991.

23- عمروس ابي حفص ابن فتح النفوسي (ت283هـ)،كتاب أصول الدينونة الصافية، تح :حاج احمد بن حمو كروم ،مر:مصطفى بن محمد شريفي وآخر ، ط1،وزارة التراث القومي والثقافة ،سلطنة عمان ،1990.

24- عياض ابي الفضل عياض بن موسى (ت544هـ)،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تح محمد بن باويتالطنجي ،ط2،وزراة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ، 1983.

25- عياض ابي الفضل بن موسى (ت544هـ)،جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ،بقلم قاسم علي سعيد ،دار البحوث ،دبي ،ج1.

26- أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن مُحَّد بن عمر (ت732هـ) ،تقويم البلدان ، اعتناء رينود والبارون ماك كوكين ،دار صادر ،بيروت .

27- الفيروز أبادي مجد الدين مُحَّد بن يعقوب (ت871هـ) ،القاموس المحيط ،ط3،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1978 .

28- القلقشندي أحمد بن علي (ت821هـ) ،صبح الأعشا في صناعة الإنشا ،تح خالد الخطيب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ج5

29- ابن كثير ابو الفداء الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية ،ط3،منشورات مكتبة المعارف ،بيروت ،لبنان ، 1993،ج7 ،ج12 .

30- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ) ،الاحكام السلطانية والولايات الدينية ،تح احمد مبارك البغدادي ،ط1،مكتبة دار قتيبة ،الكويت ،1989.

31- مجهول ،الإستبصار في عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ،نشر وتعليق عبد الحميد زغلول ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، العراق .

32- المراكشي ابن عذارى (كان حيا عام 712هـ) ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح:ج س كولان،إليفيبروفنصال ،دار الثقافة ،بيروت ،1948،ج1.

33- مسلم أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)،تح:محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت .

34- الهواري محكم بن هود (ق3هـ)،تفسير كتاب الله العزيز ،تح :بالحاج بن سعيد شريفي ،ط1،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1990.

35- الورجلاني أبو زكرياء يحي (471هـ) ،السيرة وأخبار الأئمة ،تح:اسماعيل العربي ،ط1،المكتبة الوطنية ،الجزائر ، 1979،ج1

36- الوزان حسن (تبعد 975هـ) ،وصف افريقيا ،تر محمد حجي ،محمد الأخضر ،ط2،دار الغرب الاسلامي ،لبنان ،1983 .

37- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي (ت914هـ) ،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والاندلس والمغرب ،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ، ج6

ب – المراجع :

1- بابا عمي محمد بن موسى وآخرون ،معجم اعلام الاباضية من القرن الأول الهجري الى العصر الحاضر ،قسم المغرب الاسلامي ،استشارة :محمد صالح ناصر،ط2 ،دار الغرب الاسلامي ،لبنان ،2000،ج1،ج2.

2- الباروني سليمان باشا ، الأزهار الرياضية في أيمة وملوك الإباضية ،مطبعة الازهار البارونية ،مصر.

3- بحاز ابراهيم ،القضاء في المغرب الاسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96-296هـ/715-909م)،تقديم فاروق عمر موزي ، ط2، جمعية التراث ، الجزائر ،2006،ج1،ج2.

4- بحاز ابراهيم ،الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)،دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، ط2،المطبعة العربية ،غرداية ، 1994.

5- جودت عبد الكريم يوسف ،الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية في المغرب الوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

6- الحريري محمد علي ،مقدمة البناء السياسي للمغرب الإسلامي (الدولة الرستمية 160-296هـ)،ط2،دار القلم ، الكويت ، 1983.

7- دبوز محمد علي ،تاريخ المغرب الكبير ،مؤسسة تاولت الثقافية ،ليبيا ،2002،ج3.

8- ديموبين موريس ،النظم الاسلامية ،تر:صالح الشماع وفيصل السامر ،ط3،مطبعة الزهراء ،بغداد ، 1952.

9- الزحيلي محمد ، تاريخ القضاء في الاسلام ،ط1،دار الفكر المعاصر ، سوريا ،1995.

10- الزركلي خير الدين (ت 1396) ،كتاب الأعلام للزركلي ،دار الملايين ،بيروت ،لبنان ، ج1 .

11- زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي (تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)،منشأة المعارف ، مصر ، 1979،ج2.

12- سيفر لخضر ،التاريخ السياسي لدول المغرب الاسلامي ،دون معلومات ،ج1.

13- الشربيني محمد ،القضاء في الاسلام ، ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،1999.

14- الشرقاوي عوض ،التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث هجريين ،مؤسسة تاولاتالثقافية،ليبيا ،2011.

15- شلبي أحمد ،موسوعة النظم والحضارة الاسلامية ،7،تاريخ التشريع الاسلامي وتاريخ النظم القضائية في الاسلام مع بحوث اضافية عن القران الكريم ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة .

16- عبد الرزاق محمود اسماعيل ،الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4هـ ،دار الثقافة ،المغرب الاقصى .

17- العماد هدى علي يحي ،القضاء في الاسلام :تعريفا –حكما–شروطا ،ط1 ،2023.

18- عوض خلفات ،النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقة ،شركة المطابع النموذجية الاردن ،1982.

19- عوض خلفات ،نشأة الحركة الإباضية ،مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ، الاردن ،1975 .

20- القحطاني عبد الجبار حسين ظاهر ،ديوان المظالم والقضاء في الدولة الاسلامية ،مركز الدراسات والبحوث العلمية والاستراتيجية الحضاري،2025.

21- الكعاك عثمان ،موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي ،مكتبة العربي ، تونس ،1344.

22- لقبال موسى ،الحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشأتها وتطورها ، ط1،ش.و.ن.ت ،الجزائر ،1971.

23- لقبال موسى وآخرون ،الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني ، م.و.ك،الجزائر 1984 .

24- لقبال موسى ،المغرب الاسلامي ،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .

25- مؤنس حسين ،تاريخ المغرب وحضاراته من قبيل الفتح العربي الى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن 6 م الى القرن 19م)ط1،مج1،ج1.

26- مزهودي مسعود ،جبل نفوسة منذ انتشار الاسلام حتى هجرة بني هلال الى بلاد المغرب (21-442هـ/153-642م)،مؤسسة تاولات الثقافية ،ليبيا ، 2003.

27- مجموعة من الباحثين ،معجم مصطلحات الإباضية ،ط1،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،سلطنة عمان ،2008،ج1،ج2 .

28- معمر علي يحي ، الإباضية في موكب التاريخ (الاباضية في الجزائر)،مطبعة الدعوة الاسلامية ،مكتبة وهبة ،القاهرة ،1979،ج1،ج2

29- مصطفى محمد عبد الفتاح ،كتاب العدل في الدولة الاسلامية :دراسة حول العدل ومكانته في الاسلام ،ط1،مصر ،2023.

30- الميلي مبارك ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، دار الغرب الاسلامي ،لبنان ،1964 ،ج1،ج2.

31- النامي عمرو خليفة ،دراسات عن الإباضية ،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،2001.

32- هوبكتزج.ف.ب،النظم الاسلامية في المغرب وفي القرون الوسطى ،تر :أمين توفيق الطيبي ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا –تونس ،1980.

ج – المقالات

1- البراك أحمد بن صالح ، أحكام وأداب كاتب القاضي في الفقه الاسلامي ،مجلة العدل ،ع41،السعودية ،1430 .

2- بوعبدلي المهدي ،لمحات من الدولة الرستمية ، مجلة الآصالة ،ع 41.

3- بوعقادة عبد القادر ،هل المغرب الأوسط خرافة ،مجلة عصور جديدة ،ع2016،22،21.

4- بولعراس خميسي ،القضاء العسكري بالغرب الاسلامي في العصر الوسيط :قراءة في قاضي الجند ،مجلة دراسات وأبحاث ، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجلفة ،مج12،ع3،3جويلية 2020.

5- حصباية محمد ،المغرب الأوسط :المجال والإنسان والإندماج ،المجلة التاريخية الحزائرية ،مج6 ،ع2022،1 ،جامعة المسيلة ،الجزائر .

6- بوعبدلي المهدي ،لمحات من الدولة الرستمية ، مجلة الآصالة ،ع 41.

7- القاضي وداد ،ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مقال بمجلة الآصالة ، ع45 ،مطبعة البعث ،قسنطينة ، الجزائر ، 1395 .

8- المغيربي مازن ابراهيم أحمد ،منهج أبي العرب القيرواني (ت 333هـ) في كتاب طبقات علماء افريقية وتونس ، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الانسانية ، السعودية ، ع10 ،1443هـ.

د–الرسائل الجامعية :

1 برة نوال ، الغرامات والعقوبات في المغرب الأوسط (2-10هـ/8-16م)،دراسة سياسية واجتماعية واقتصادية ، أطروحة دكوراه ،إشراف :علي عشي ، قسم التاريخ والأثار ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة باتنة ، الجزائر ،2022-2023 .

2 الربعصي منصف جودة عمران ،القضاء في إفريقية منذ الفتح الاسلامي الى نهاية عصر الأغالبة ،مذكر ماجيستير ، إشراف بشير رمضان التليسي ،قسم التاريخ ،كلية الآداب ، جامعة بنغازي ، ليبيا ، 2006-2007.

3 فخار عمر بن الحاج ،جوبات أفلح بن عبد الوهاب ، رسالة ماجيستير ، إشراف :الشيخ عاشور كسكاس ،معهد العلوم الشرعية ،وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية ، سلطنة عمان ،2004-2005

4 مزهودي مسعود ،الإباضية في المغرب لاوسط منذ سقوط الدولة الرستمية الى هجرة بني هلال الى بلاد المغرب (296-442هـ) ،رسالة ماجيستير ، جامعة القاهرة ،قسم التاريخ ،جمعية التراث ، القرارة ، غرداية ، 1996.

5 المشاي أحمد علي أحمد التائب ،تاريخ القضاء في الدولة العربية الاسلامية (11-232هـ/632-748م) رسالة ماجيستير ، تخصص التاريخ الاسلامي ،اشراف علي حسن الشطشاط،قسم التاريخ ،كلية الاداب والتربية ، جامعة التحدي ،ليبيا ،2006-2007.

6 مطهري فطيمة ،مدينة تيهرت الرستمية ،دراسة تاريخية حضارية ،القرن 2-3هـ/8-9م ،رسالة ماجيستير ،اشراف معروف بالحاج ،قسم التاريخ والآثار ،كلية العلوم الاجتماعية ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان ،الجزائر ،2009-2010 .

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

إهداء

شكر وتقدير

المقدمة:.....أ – ز

الفصل التمهيدي :مصطلح القضاء والمغرب الأوسط، التوطين المذهبي ونشأة الدولة الرستمية

- مفهوم القضاء ..... 02 – 04
- المغرب الأوسط وحدوده الجغرافية ..... 04 – 07
- المذهب الإباضي في المغرب الأوسط ..... 07 – 10
- نشأة الدولة الرستمية ..... 10 – 14

الفصل الأول : مصادر التاريخ القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي

- القرآن الكريم :..... 16 – 18
- السنة النبوية :..... 18 – 20
- المصادر الفقهية الإباضية :..... 21 – 24
- المصادر التاريخية الإباضية :..... 24 – 29
- المصادر الفقهية المالكية :..... 29 – 30
- المصادر التاريخية المالكية :..... 30 – 34

الفصل الثاني :ولاية القضاء بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي وأهميتها

- مجلس القضاء :..... 37 – 43
- استقلالية القضاء :..... 43 – 45
- شخصيات مارست القضاء :..... 45 – 49
- أثر القضاء في العمران البشري :..... 49 – 53

الخاتمة:..... 54 – 56

الملاحق :..... 57 – 63

قائمة المصادر والمراجع:..... 64 – 71

فهرس المحتويات :..... 73

ملخص الدراسة :

العنوان :القضاء بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي (160-296هـ/777-909م)

يعتبر القضاء من أشرف الوظائف وأهمها عند الدول الإسلامية بصفة عامة والدولة الرستمية بصفة خاصة ،حيث كانت نشأة القضاء الرستمي مع مؤسس الدولة عبد الرحمان بن رستم سنة 160هـ/777م في تيهرت، كما حضي باهتمام كبير من قبل الأئمة بعده ،

أعلت الدولة الرستمية من شأن القضاة مما أكسبهم هيبة لدى هامة الناس وخاصتهم، كما تمتع القضاة بالاستقلالية وعدم تدخل الأئمة في شأنهم القضائي، فأصبح القضاء أكثر تنظيما من خلال مجلسه و استعانته بمختلف النظم القضائية التي أسهمت في استقرار الدولة، من خطط مكملة لعمله كالحسبة والشرطة والمظالم ،كما نجد أن القاضي بالمغرب الأوسط كان نزيها صارما في تطبيق أحكام الشريعة التي استنبطها من القرآن والسنة، وقد وثقت لنا المصادر التاريخية بنوعيها :الإباضية والمالكية تلك الصرامة والنزاهة في تنفيذ الحدود على من صدرت ضده جنحة من مختلف طبقات المجتمع بلا تمييز أو تحيز أو جور .

Study Summary:

Title: Judiciary in Central Morocco during the Rustamid Era (160-296 AH / 777-909 AD)

The judiciary is considered one of the most honorable and important functions in Islamic states in general, and in the Rustamid state in particular. The Rustamid judiciary was established with the founder of the state, Abd al-Rahman ibn Rustam, in 160 AH / 777 AD in Tihert, and it received significant attention from the imams who succeeded him. The Rustamid state elevated the status of judges, granting them prestige among both the elite and the general populace. Judges enjoyed independence, with no interference from the imams in judicial matters, which led to a more organized judicial system through its council and the implementation of various judicial frameworks that contributed to state stability. This included complementary functions such as market oversight (hisba), policing, and grievance management. In Central Morocco, judges were known for their integrity and strictness in applying the laws derived from the Quran and the Sunnah. Historical sources, both Ibadi and Maliki, document the rigorousness and impartiality of judges in enforcing punishments on offenders from all social classes without discrimination, favoritism, or oppression.

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila